التبصير

بكر زيد

بما في كتاب التعالم من التزوير

نقد علمي لكتاب التعالم للدكتور أبو زيد

بقلم

الشيخ محمد علي الصابوني

دار الشهباء

للطباعه والنشر والتوزيع

التبصير

بما في كتاب التعالم من التزوير

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، كرَّم أهل العلم ورفع شأنهم ، وخفض أهل الجدل ، وكشف أمرهم ، وأذن لمن إعتُدِىَ عليه بردّ البغى عنه والعدوان ، فقال فى كتابه العزيز قولا مبينا ﴿ لا يحبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلَّا من ظُلِمَ وكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً ﴾(١) .

والصلاة والسلام على الهادى الأمين ، البشير النذير ، والسراج المنير ، مرشد المؤمنين إلى الخير ، الداعى إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، سيدنا محمد « ﷺ » الذى حذّر أمته من البغى ، والتطاول على المؤمنين بغير حق ، وجعله من أسباب بغض الله وسخطه ، فقال فيما رواه عنه الشيخان : « إن أبغض الرجال إلى الله تعالى : الألدُّ ، الخَصِمُ »(٢) والألدُّ : الشديد الخصومة بالباطل ، والخَصِمُ : المكابرُ فى الخصام ، الذى يريد الغلبة بكلامه المتمّق على تخصمه .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين تأدبوا بآداب الإسلام ، فكانوا بحق نجوماً زاهرة ، ومصابيح ساطعة ، ونماذج فاضلة فى الدين ،

---

(١) النساء آية ١٤٨ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المظالم باب قول الله تعالى « وهو ألد الخصام » ومسلم فى كتاب العلم ، برقم ٢٦٦٨ .

والخُلُق ، والصلاح ، وكانت سيرتهم العطرة خيرَ دليل وبرهان ، على أنهم اقتبسوا من « مشكاة النبوة » ما أهلَّهم لقيادة ركب الإنسانية فى المدنية والحضارة ، حتى فتحوا الممالك والبلدان ، وصاروا قدوة يشار إليهم بالبنان ، فى أدبهم وأخلاقهم ، وسُمُّوا بالسلف الصالح ، الذين هم خير القرون الفاضلة ، يُقتدى بهم ، ويُقتفى أثرهم فى جميع شئون الحياة : ﴿ أولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَـٰئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾(١) .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة مستمرة ، بدوام ملك الله ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإنَّ مما يُؤسف له حقاً فى هذه العصور والأيام ، أن ينتسب إلى « دعوة السلف » من يجهلُ طريقة السلف ، ولا يكون حظُّه من هذا اللقب الشريف الطاهر ، إلا « الاسم » دون الوصف ، و« المظهر » دون المخبر ، وأن يتسلَّق سورَ الشريعة الغراء ، من لا يستمسك بأدب الحديث ، ولا بأدب القرآن فى مخاطبته الناس ، فضلًا عن مراعاة أدب الجدل والمناظرة ، التى شيَّد لنا دعائِمَها ، ورسَمَ لنا مناهجَها ، سلفُنَا الصالحُ ، بأقوالهم ، وأفعالهم ، وسلوكهم ، وتصرفاتهم .

إن أول خصائص أهل العلم ، الالتزام بالخلق والأدب ، وأول مراتب

---

(١) سورة الزمر ، آية (١٨) .

أهل التقوى ، الاعتراف بالفضل لأهل الفضل ، دون النهش فى الأعراض ، وقذفهم بقبائح الأمراض ، من الضلال ، والتكفير ، والتفسيق ، والتبديع ، وسائر الألفاظ الشائنة ، التى تنزع عن قائلها لباس التقوى ، وتجعله منبوذاً عند الله وعند الناس !. .

إكرام أهل العلم والفضل

لقد أمرنا ديننا الإسلامى الحنيف ، بتكريم أهل الفضل والعلم ، وأن ننزلهم منازلهم ، ونتأدب معهم ، لأنهم حماة الشريعة ، وورثة الأنبياء ، ومَنْ أولى بالاحترام والإكرام ، ممن رفع الله قدرهم ، وأعلى شأنهم ، بقوله تقدَّست أسماؤه ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا منكُمْ والَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ ﴾[1] .

وفى قوله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ؟ إنَّمَا يتذكَّرُ أولو الألباب ﴾[2] .

وكذلك « توجيه النبوة » قد أفصح وأوضح مكانة أهل العلم ، وإجلال الله عز وجل لهم ، لما شرَّفهم الله به من نور الحكمة والمعرفة ، فهم مشاعل النور والضياء ، يُهتدَى بهم فى ظلمات الحياة ، ولهذا قال الرسول المصطفى ﷺ : « إنَّ من إجلال الله تعالى — أى تعظيمه — أكرامَ ذى

---

(١) المجادلة ، آية (١١) .

(٢) الزمر ، آية (٩) .

الشيبة المسلم ، وحاملِ القرآن ، غيرِ الغالى فيه ، والجافى عنه — أى البعيد عن تلاوته — وإكرامَ ذى السلطان المُقْسِط »(١) أى العادل .

ومن تَرَكَ القرآن ، وأدبَ القرآن وجفاه ، حقيق بألَّا يُحترم ولا يُوقَّر .. ولنستمع إلى المرشد الأعظم ﷺ حيث يقول : « ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شَرَف كبيرنا »(٢) .

وفى رواية أخرى « ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقِّرْ كبيرنا ، ويأمُرْ بالمعروف ، ويَنْهَ عن المنكر »(٣) .

إنزال الناس منازلهم

وقد روت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أنزلوا الناس منازلهم »(٤) أخرجه أبو داود .

وقد ذكره مسلم فى أول صحيحه تعليقاً فقال : « وذُكر عن عائشة رضى الله عنها قالت : « أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن نُنْزِل الناس منازلهم » وله قصة ذكرها الإمام النووى فى كتابه « رياض الصالحين » وهى : أن عائشة مرَّ بها سائل ، فأعطته كِسْرة — أى قطعة خبز — ومرَّ بها رجل عليه ثياب وهيئة ، فأقعدته فأكل ، فقيل لها فى ذلك ، فقالت قال رسول الله ﷺ :

---

(١) أخرجه أبو داود فى الأُدب رقم (٤٨٤٣) وحسنة النووى ، وابن حجر ، والحافظ العراقى .
(٢) ، (٣) سنن الترمذى كتاب البر رقم (١٩٢٠ و ١٩٢١) قال الترمذى : حديث حسن .
(٤) سنن أبى داود كتاب الأدب رقم (٢٨٤٢) قال السخاوى فى المقاصد الحسنة : له شواهد

« أنزلوا الناس منازلهم » . فإذا كان هذا فى حق سائل ، فكيف بحق فقيه وعالم ؟!.

وما أجمل ما قاله الشاعر :

ما الفَضْلُ إلَّا لِأَهْلِ العِلْمِ إنَّهُمُ ... على الهُدَى لمن اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وقَدْرُ كُلِّ امرِيءٍ مَا كَانُ يُحْسِنُهُ ... « والجَاهِلُونَ لِأَهْلِ العِلْمِ أَعْدَاءُ »
فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَداً ... النَّاسُ مَوْتَى وأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ(١)

خُلُق السلف الصالح

روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك قال : صحبتُ « جريرَ بنَ عبدِ اللهِ البَجلى » فى سفر ، فكان يخدمنى — وهو أكبر من أنس — فقلت : لا تفعلْ رحمك الله !! فقال جرير : إنى رأيتُ الأنصارَ يكرمون رسول الله ﷺ ، ويعملون به شيئاً ، آليتُ — أى أقسمت — ألَّا أصحب أحداً منهم إلَّا أكرمتُه ، وخدمته لذلك »(٢) .

هكذا كان شأن السلف الصالح ، وهكذا كانت سيرتهم العطرة ، توقيرٌ وتعظيم ، وإجلالٌ وتكريم ، لمن صحب الرسول ﷺ ونقَلَ هديَه وشرعه ، حتى ولو كان أصغَر سناً منه ، لما يحمله فى صدره من علم ، اقتبسه من مشكاة النبوة !.

---

(١) أنظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالى باب فضل العلم والعلماء .
(٢) الحديث أخرجه الشيخان ، وانظر صحيح مسلم ١٩٥١/٤ .

وحُكِي أن حبر الأمة سيدنا «عبد الله بن عباس» رأى «زيد بن ثابت» وهو شيخ وقور، يريد أن يركب بغلته، فأمسك له بزمام الدابة ليركبها، فقال له زيد: خلِّ عنك يا ابنَ عمِّ رسول الله، فقال له ابن عباس: هكذا أُمِرْنَا أن نفعل بعلمائنا!!

فانحنى زيد فقبَّل يد ابن عباس وهو أصغر منه سناً وقال: هكذا أُمِرنا أن نفعل بآل بيت نبينا ﷺ. وهكذا أدب الصحابة رضوان الله عليهم في أقوالهم وأفعالهم[1].

★ «حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة»:

وتعظيماً لحرمة المؤمن، وبياناً لحقه العظيم على أخيه المسلم، فقد ربط الله تبارك وتعالى بين المؤمنين برابطة «الأخوة الإيمانية» التي هي أعظم وأقدس من رابطة النسب، وأوجَبَ عليه ولايتَه، وحمايتَه، ونصرَته، فقال تقدست أسماؤه ﴿ والمؤْمنونَ والمؤمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أولياءُ بَعْضٍ، يَأْمُرونَ بالمَعْروفِ وَينْهَوْنَ عنِ المُنْكَرِ، ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ، ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، ويُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿ ومَنْ يَتَولَّ اللهَ ورسولَهُ والَّذِينَ آمنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١/١٨٨ وكنز العمال ٧/٣٧ والإصابة ١/٥٦١.

(٢) التوبة، آية (٧١).

هُمُ الغَالِبُونَ ﴾(١) . وعدَّ رسولُ الله ﷺ إيذاءِ المؤمنين ، والبحثَ عن عثراتهم ، عملًا يخلُّ بالإيمان ، ويُعرِّض فاعلَه للفضيحةِ ، وسخطِ الرحمن ، لأن المؤمن مرآة أخيه المؤمن ، فعليه أن ينصحه ويشدَّ أَزْره ، بدافع الشفقة والرحمة ، لا أن يفضحه ويفرح بهتك حرمته ! روى الترمذي في سننه عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : « صعد رسولُ الله ﷺ المنبرَ ، فنادى بصوتٍ رفيع ـــ أي مرتفع جاهر ـــ فقال : يا معشرَ من قد أسلَمَ بلسانِهِ ، ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبه ـــ أي لم يصل قلبَه ـــ لا تُؤذوا المسلمينَ . ولا تُعيِّروهم ، ولا تَتَّبِعُوا عورَاتِهم ، فإنه من تتبع عورةَ أخيهِ المسلمِ ، تَتَبَّع عورتَه ، ومن تَتَبَّع اللهُ عورتَه ، يفضَحْه ولو في جوف رَحْله »(٢) .

قال نافع مولى ابن عمر : « ونظر ابنُ عمر يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة ، فقال : ما أعظمكِ ، وأعظمَ حرمتَكِ ، والمؤمنُ أعظمُ حرمةً عند الله منك »(٣) !!

حُرُمات ثلاث وضَّحها الرسول ﷺ

وحدَّد رسول الله الحرمات في أمور عديدة : المال ، والنفس ،

---

(١) المائدة ، آية (٥٦) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر برقم (٢٠٣٢) باب ما جاء في تعظيم المؤمن وهو حديث حسن .

(٣) سنن الترمذي ٤/٣٣٢ تحقيق فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية .

والعِرْض ، وسائر ما يخدش كرامة المؤمن ، فقال صلوات الله وسلامه عليه ، فيما رواه مسلم عنه فى صحيحه :

« المسلمُ أخو المسلم ، لا يظلِمُه ، ولا يحقِرُه ، ولا يخذله .. بحسب امرىءٍ من الشرّ أن يحقِرَ أخاه المسلمَ .. كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ : دمُه ، ومالُه ، وعِرضُه »[1] .

وإقدامُ المسلم على قتل أخيه المسلم كفر بالله ، وسبُّه وشتمه بقبيح الألفاظ ، خروجٌ عن طاعة الله ، يُحكم عليه فيها بالفسق والفجور ، كما قال سيدنا رسول الله ﷺ فيما رواه عنه البخارى : « سبابُ المسلم فُسوقٌ ، وقتالُه كفرٌ »[2] .

فأين نحن من أناس يعتبرون نهش أعراض إخوانهم المؤمنين ، وشتمهم بأشنع وأقبح الألفاظ ، قربةً يتقرَّبون بها إلى الله ، ويجدون فيها لذة وتشفيًّا ، لأنها — فى نظرهم — انتصار لدين الله ، يرمونهم بشنيع الألفاظ ، لا لشيءٍ إلّا لأنهم خالفوهم فى بعض أمور ، فيها مجال للاستدلال والنظر ، كما سيجده القارئ الكريم ، بين ثنايا هذا الكتاب فى تطاول المدعو الدكتور « بكر أبو زيد » على إخوانه أهل العلم ، في رسائله المنشورة ، ومؤلفاته المكرورة .

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٥٦٤) فى البر والصلة ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس ، بتقديم وتأخير فى بعض ألفاظه ، ورواه البخارى فى الأدب « باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر » .

(٢) صحيح البخارى كتاب الفتن ، ومسلم فى كتاب الإيمان برقم (٦٤) .

أدب الحديث والمناظرة

ديننا الحنيف يأمرنا بالتلطف والتأدب فى الكلام ، حتى مع غير أهل الإسلام ، فكيف بإخواننا المؤمنين ، وبخاصة إذا كانوا من أهل العلم ؟ فالله سبحانه وتعالى يوجّهنا هذا التوجيه الربانيّ الأسمى ، فيقول جل شأنه : ﴿ ولا تُجادِلُوا أهلَ الكِتَابِ إلَّا بالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ .. ﴾[١] مع أنهم كفار ، ويقول سبحانه ﴿ وَجَادِلْهُمْ بالتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ وهى عامة فى المؤمن والكافر .

ويأمر رسولَهُ ﷺ بالإنة الكلام ، وخفض الجناح لأتباعه المؤمنين تأليفاً لقلوبهم : ﴿ واخفِضْ جَنَاحَكَ لمنِ اتَّبَعَكَ من المُؤْمِنينَ ﴾[٢] ويبيِّنُ له أنَّ الفظاظة والغلاظة تُنفِّر القلوبَ ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفضُّوا من حَوْلِكِ ﴾[٣] .

اختيار الكلمات المهذبة

ومن واجب المسلم أن يختار الألفاظ المهذبة فى تخاطبه مع الناس ، امتثالًا لأمر الله العلى الكبير ﴿ وقُولُوا للنَّاسِ حُسْناً ﴾ وأن يجتنب الفُحْش فى القول ، والبذاءَةَ فى اللسان ، فإنَّ التراشق بالألفاظ النابية ، ليس سمة أهل

---

(١) العنكبوت آية (٤٦) .
(٢) الشعراء آية (٢١٥) .
(٣) آل عمران ، آية (١٥٩) .

العلم والفضل ولا عنوانَ النصرة للحق ، بل هى منقصة فى الدين ، وخدش للإيمان « ليس المؤمنُ بالطعَّان ، ولا اللعَّانِ ، ولا الفاحشِ ، ولا البذى »(١) كما جاء فى الحديث عن سيد البشر .

وقد قال عليه أفضل الصلاة والتسليم : « الحياءُ من الإيمانِ ، والإيمانُ فى الجنة ، والبَذَاءُ — أى الفُحْشُ فى القول — من الجَفَاء ، والجَفَاءُ فى النارِ »(٢) .

وما أبدع وأروع قول المصطفى — ﷺ — فى توجيهه الحميد الرشيد للأمة « ما كان الفُحْشُ فى شيءٍ إلَّا شانَه ، وما كان الحياءُ فى شيءٍ إلَّا زانه »(٣) وكان يقول صلوات الله عليه : « كلُّ معروفٍ صدقة ، وإنَّ من المعروف أن تَلْقَى أخاكَ بوجهٍ طَلْق »(٤) .

وفى الحديث أيضاً : « إنَّ الله ليبغِضُ الفاحشَ البذىء »(٥) .

بهذا التوجيه الكريم ، وبهذا الأدب السامى الرفيع ، تعامل المسلمون فيما بينهم ، فما كان يصدر منهم غلظةٌ ولا جفاء ، يختلفون ولا يختصمون ، ويتناظرون فلا يتدابرون ، غرضُهم الوصولُ إلى الحق ، ومعرفةُ الدليل الشرعى والبرهان ، وهكذا كان دأبَ السلف الصالح ، فى جميع الأمور التى اختلفوا فيها ، ويا له من أدبٍ سامٍ رفيع !!

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى برقم (١٩٧٧) وهو حديث حسن .

(٢) سنن الترمذى حديث رقم (٢٠٠٩) وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) سنن الترمذى « باب ما جاء فى الفحش والتفحش » رقم (١٩٧٤) .

(٤) طرف من حديث أخرجه الترمذى برقم (١٩٧٠) وقال : حديث حسن .

(٥) سنن الترمذى رقم (٢٠٠٢) وانظر تمامه فيه .

اختلاف ابن عباس مع ابن مسعود

وإلى السادة القراء أسوق هذه القصة نموذجاً عن أدب السلف الصالح ، فقد سُئل ابنُ عباس « حبر الأمة » عن رجل خطب امرأة ، ثم حدث بينه وبين أهلها نزاعٌ ، فقال الرجل : إنْ تزوجتُ فلانة فهي طالق ، ثم أقدم على الزواج منها ، فقال ابن عباس : هذا ليس بشيء لأنه طلَّق قبل أن يملك ، ولا طلاق قبل النكاح ، فقيل له : إن عبد الله بن مسعود ـــ كبير فقهاء الصحابة ـــ يخالفك في هذا ، ويقول : إن تزوجت بها وقع الطلاق ، لأنه طلاق معلَّق ، يقع عند وقوع شرطه ، فقال ابن عباس : رحم الله أخي أبا عبد الرحمن ، لو كان كما قال ، لقال الله تعالى إذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن ، ولكنْ إنما قال تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمنُوا إذَا نَكَحتُمُ المؤمنَاتِ ثُمَّ طلَّقتُموهُنَّ ... ﴾ فجعل الطلاق بعد النكاح[1] .

وهكـــذا شأن علمـــاء السلـــف ، ما ضلَّـــلَ ولا فسَّق ولا بدَّع ، وإنما قال : « رحم الله أخي » ثم أتى بالدليل والبرهان على صحة فتواه ، والأمثلة على اختلاف علماء السلف كثيرة ، ليس هنا محل بسطها ، وإنما عرضنا لنموذج منها .



(١) انظر تفصيل القصة في كتابنا روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن ٢/٢٧٣ .

★ « تطاول بعض الكتاب في انتقاداتهم » :

ولعلك ـــ أخي القارئ ـــ تعجب أشدَّ العَجَب ، وتأخذك الدهشةُ والحيرة ، لما سطَّره بعض الكُتَّاب ، في حق إخوانهم من أهلِ العلم ، بأسلوب يندَى الجبينُ له خجلًا ، ويتورع عن التلفظ به العامةُ ، فضلًا عن المدَّعينَ للخُلُق والأدب ، والمنتسبين ـــ في دعواهم ـــ إلى علماء السلف !!.

لقد شطَّ القلمُ ، وزلقت القدم ، بالمدعو « بكر عبد الله أبو زيد » حين أخرج كتابه « التعالم » نثر فيه ما في جَعْبته ، من كلمات السباب والشتائم ، وكأنه ينثر الورود والأزهار ، على رءوس إخوانه المؤمنين ، « وهذه بضاعة المفلسين » .

تناول في كتابه عدة شخصيات إسلامية معاصرة ، كفضيلة العلَّامة الشيخ « أبو الحسن الندوى » والعلامة « مصطفى الزرقا » والعلامة « عبد الفتاح أبو غدة » وفضيلة الشيخ « طاهر بن عاشور » ساقهم كلهم في كتاب « التعالم » بالغمز واللمز ، والتجريح للكرامة ، بطريق التلميح أو التصريح ، وخصّ العبدَ الفقير كاتب هذه السطور « محمد على الصابوني » بقسطٍ وافر من الكلمات البذيئة النابية ، التي نثرها عليَّ ، دون رعايةٍ لحرمة أخيه المؤمن ، ودون تحرُّج أو حياءٍ ، مما يكتب ويسطّر !!.

وما أبدع ما قاله سيد الأنبياء « إنَّ ممَّا أدرك الناسُ من كلام النبوة

الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت »(١) .

يقول كاتبنا الأديب في كتابه « التعالم » عن خادم الكتاب والسنة الشيخ « محمد علي الصابوني » الذى خرَّج الأجيال في جامعة أم القرى — وهم اليوم أساتذة الجامعة — لمدة تقارب ثلاثين سنة ، وأخرج ما يزيد على عشرين كتاباً في خدمة الشريعة الغراء يقول ما نصه :

« فهل سمعتَ بمفسِّرٍ متعالم كذَّاب .. لا يدرى السنةَ ولا يحفظ الكتاب ؟... قليل الرشاد ، كثير الفساد ، لا يأنف متعالمه من الوصمة والعاب .. واسمع شكوى أجلة الشيوخ من هذا التعالق ... إلخ » .

هذه عباراته ، وهذه ألفاظه : « مفسر متعالم كذاب ، لا يدرى السنة ولا يحفظ الكتاب ، قليل الرشاد كثير الفساد ... إلى آخره . هكذا بكل تواضع وأدب من الكاتب اللامع « أبو زيد » وبكل لفظ رشيق لطيف ، ينمُّ عن أدبٍ جمّ وافر ، وديانة متينة ، وورع زائد ، وخوف من الله عظيم ، ورقابة لأدب الشرع الحنيف يخاطب إخوانه ، وكأنه يعيش بين قطيع من الأغنام !! ويجعل كلام أخيه — تُعاقاً — وهذا برهان ساطع على أدبه ، ورقة تعبيره ، وسمّو تديّنه .

أقول : لا عجب ولا غرابة في كلامه ، فهذه بضاعته في كل ما يؤلف من رسائل ، وفي كل ما يخرج من كتب ، ليس عنده إلا السب والتجديع ،

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب ١٠/٤٣٤ قال الخطابى : الأمر (فاصنع ما شئت) للتهديد ، نحو قوله تعالى : ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ أو بمعنى الخبر أي إذا لم يكن حياء يمنعك من القبيح صنعت ما شئت . أ هـ .

والتكفير والتضليل !!

ولم يكتف بهذا ، بل زاد الطين بِلَّة ، فرماني بالرياء والنفاق ، والكذب والاختلاق ، والجهل المزمن ، والغبن في الدين ، واسمع إليه وهو يقول في ص (٤٣ — و ٤٤) من كتابه التعالم : « وقد ابتلى المسلمون من قبلُ ومن بعدُ ، بجهود منكرة من طراز آخر . وأسوأ مثالٍ في المعاصرة ، ما يراه البصير في كتابي « صفوة التفاسير » و« مختصر تفسير ابن كثير » كلاهما لخلفيٍّ محترق !!.

ثم قال في صفحة ٤٣ :

وقد فزع أهل العلم وطلابه ، من تطاول هذا المغبون في حظه ، من العلم والتُّقى ، إذ كدَّر صفو التفاسير ، وعبث غاية العبث فيها .. وفي صفحة (٤٤) من مؤلفه الرائع « التعالم » يقول الكاتب الفاضل ما نصه :

« وله في مواضع من الجزء الثالث من السلسلة الضعيفة ، ما يكشف هذا المبتلى المرائي ، المتشبّع بما لم يعطه ، وعبثه في عدة عوامل : الإخلال بالأمانة في النقل .. حذف أحاديث صحيحة .. كثرة إيراده الأحاديث الضعيفة .. إيراد قراءات شاذة .. إلى غير ذلك من وجوه العبث ، والكذب ، والاختلاق ، والجهل المزمن ..

ثم يقول مرشداً ناصحاً ، غيرة منه على دين الله من ضلال المبتدعين :

« فأنصح كل مسلم بعدم اقتناء هذين الكتابين « صفوة التفاسير » و« مختصر ابن كثير » أو العزو إليهما لعدم الثقة من كاتبهما لما سمعت .. » أهـ .

أقول : ما هكذا يا سعد !؟ تورد الإبل !!

ما هكذا يا بكر يتحدث الفضلاء !!

ما هذه طريقة من ينتسب إلى السلف ؟.

أنت تزعم أنك سلفى ، فهل رأيت مثل هذا الزور والبهتان فى كلام السلف ؟.

لماذا لم تتأدب فى حوارك بآداب العلماء ، فتقرع الحجة بالحجة ، وتدفع البرهان بالبرهان ، حتى يحترمك الناس !!

هل هذه أخلاق من ينتسب إلى الفقه والعدل (١) ؟.

إن الأستاذ الفاضل « بكر أبو زيد » لا يعرفنى ولم يلتق بى فى محاورة أو مناظرة ، ولم يكن بيننا نزاع أو خصام ، ولو التقينا فى طريق وقيل له : هذا هو الشيخ الصابونى ــ غالب الظن ــ أنه لن يعرفنى .. فكيف كتب عنى هذه الكتابة المستفيضة ، ورمانى بمثل هذه الألقاب اللطيفة الرشيقة ، (كذاب متعالم ، قليل الرشاد كثير الفساد ...) التى تدل على مبلغ أدبه ، وتحليه بأخلاق السلف !؟ .

وأحب أن أسأل سيادته : من أين عرف أنى لا أعرف السنة ، ولا أحفظ الكتاب ؟ وأننى منافق متشبع بما لم يعط ، مُراءٍ ؟

هل كان ذلك بفراسة وإلهام ، أم أنه أضغاث أحلام من وحى ... ؟!

(١) الدكتور بكر أبو زيد رئيس المجمع الفقهى ، كما ختم به رسالة « التحذير » ليعرف الناس مكانة المؤلف المرموقة ، وقد بات يستره الله ، وأصبح يكشف ستر الله عليه ، وانظر رسالته « التحذير من مختصرات الصابونى فى التفسير » ففيها من هذا الافتراء الشىء الكثير .

إنى أعيذك يا بكر أن تكون من الجاهلين .

لقد أكرمنى الله بحفظ كتابه ، فأنا أحفظ القرآن من قبل أن تلدك أمك .

وقد قرأت الكتب الستة « البخارى ، ومسلما ، والسنن » على شيوخى ، وأنت طفل صغير تحبو ، لا تدرى ماذا فيها ، فكيف تقول : لا يدرى السنة ، ولا يحفظ الكتاب ؟.

ثم تقول عنى : مفسر كذاب .. قليل الرشاد ، كثير الفساد ، لا يأنف متعالمه — كذا تعبيره — من الوصمة والعاب .

ما هذه الألقاب التى تميَّزتَ بكتابتها من دون سائر الكُتَّاب ؟! .

تقول عن أخيك المسلم — خادم الكتاب والسنة — مفسر كذاب ، مراءٍ ، مبتلى ، متشبع بما لم يعط ، مغبونٌ فى حظه من العلم والتقى ... إلخ .

كيف طاوعتك نفسك أن تكتب مثل هذه الكلمات الجارحة ، التى يتورع والله عن كتابتها ربيب الشارع ؟ تكتبها فى حق أخيك المسلم ؟ إننى أقرُّ وأعترف ، بأنى لا أستطيع مجاراتك فى مثل هذا الأسلوب ، الخارج عن حدود اللياقة والأدب ، ولكن أذكّرك بما غاب عنك من توجيه معلم الخير ، هادى البشرية « محمد بن عبد الله » صلوات الله عليه حيث يقول : « إنَّ من أحبكم إلىَّ ، وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة ، أحاسنَكم أخلاقاً .. وإنَّ أبغضكم إلىَّ ، وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة ، الثرثارون ، والمتشدّقون ، والمتفيهقون ، قالوا يا رسول الله : فما المتفيهقون ؟ قال :

المتكبِّرون »(١) .

قال الترمذى : **الثرثار** : هو الكثير الكلام ، **والمتشدّق** : الذى يتطاول على الناس فى الكلام ،ويبذو عليهم(٢) . أى يتكلم عنهم بالكلام البذىء .

أسفى عليك يا شيخ الفقه والقضاء ، فما هكذا يكون عدل القضاة ، ولا أدب العلماء !؟ .

أسفى عليك على هذا الزور والبهتان !!

أسفى عليك على ما جنيته على نفسك !!

أما سمعت قول الشاعر :

وَمَا مِنْ كاتِبٍ إلَّا سَيَفْنى ... ويُبْقى الدَّهْرُ ما كتبتْ يَدَاهُ
فلا تَكْتُبْ بكفِّكَ غيرَ شَىءٍ ... يَسُرُّكَ فى القِيامَةِ أَنْ تَرَاه

أين أنت يا أخى من أدب القرآن ﴿ وجَادِلْهمْ بالتى هى أَحْسَنُ ﴾ ؟.

أين أنت من فقه الشريعة « كلُّ المسلِمِ على المسلم حرام : دمُه ، ومالُه ، وعِرْضُه »(٣) ؟.

أم أن هذا الحديث فى نظرك منسوخ ؟

أين أنت من أخلاق النبوة ، فقد كان ﷺ لا يجابه أحداً بما يكره ، كان إذا

---

(١) سنن الترمذى باب ما جاء فى معالى الأخلاق حديث رقم ٢٠١٨ .

(٢) سنن الترمذى ٣٢٥/٤ طبعة دار الكتب العلمية ـ لبنان .

(٣) طرف من حديث طويل رواه مسلم فى صحيحه ولفظه « لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يحقره ولا يُسْلِمُه .. بحسب امرىءٍ من الشر أن يحقِر أخاه المسلم ، كلُّ المسلم على المسلم حرام .. » الحديث .

بلغه شيء عن أحد يقول : ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا ، أو يفعلون كذا .. » .

كان هذا خلقه حتى مع المنافقين الذين يعلم نفاقهم تمام المعرفة .

فأنت أسأتَ ، وبهتَّ ، وصرَّحتَ ، دون مراعاة لحرمة المسلم ، ودون تمسك بأدب الحوار ، وأنت تعلم أن البهتان كبيرةٌ من الكبائر ﴿ والَّذينَ يُؤْذونَ المؤمنينَ والمؤمناتِ بغيرِ ما اكتسَبُوا فقدِ احتَمَلُوا بُهْتَاناً وإثْماً مُبِيناً ﴾ .

أين أنت من قول المصطفى ﷺ : « سبابُ المسلم فسوقٌ ، وقتالُه كفر »[1] .

ما يمنعك يا أخى أن تُبدى رأيك ، وتبين وجه الخطأ والصواب ، فيما تنتقده على غيرك ، مما تراه غير سليم ، ولكن بأدب أهل العلم ، وبقلم شريف نزيه ، ليس فيه تجريح ، ولا اتهام بالباطل ، ولا يشوبه كدر ولا قَذَر !!

أمَّا أن تقول عن أخيك المسلم : كذاب ، منافق ، مبتلى ، مراءٍ ، قليل الرشاد ، كثير الفساد . إلى آخر تلك الكلمات الرشيقة الجميلة ، التى طوقت بها عنق أخيك ، فهذا ما لا يُقرّك عليه أحدٌ ، لا عدوٌّ ولا صديق !

وما نلتَ من أخيك ، كما نلتَ من نفسك ؛ بهذا الأسلوب النابى ، البعيد عن كل صفات المروءة والدين . !

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

★ « حكمة بليغة لأديب البيان الرافعى » :

واسمح لى أن أقول ما قاله أديب البيان ، وشيخ الأدباء « الرافعى » : أيتها الحصاة ، لا يسخر منك الساخر ، بأكثر من أن يجلوك درة فريدة أمام أنظار اللاهين !!(١)

وحقاً إنها لحكمة بليغة ، وقولة عظيمة ، ترد الغافل إلى صحوته ، والمتطاول على الناس إلى رشده « وإنَّ من البيان لسحراً » .

هل تظن يا أخى أن مثل تلك الألفاظ الجارحة ، والكلمات النابية ، التى سطرتها بيدك ، ودبَّجتها بيراعك ، ترفع من شأنك ، وتحط من قدر خصمك ؟!

لا والله ، بل هى على العكس ، إنها مذمة عليك ، ونقص من قدرك ، وإساءة إلى المنصب الذى تقلّدته ، ولكن كما قيل : « وكلُّ إناءٍ بالذى فيه يَنْضَحُ » . ويبقى الإنسان يترجم عن نفسه بنفسه ، وعن سلوكه وأخلاقه ، بما يُملى وما يكتب ، وللإمام الشافعى رحمه الله هذه الأبيات التى تكتب بماء الذهب :

لِسَانَكَ لا تَذْكُرْ بِهِ عورةَ امرئٍ ... فَكُلُّكَ عَوْراتٌ وللنَّاسِ أَلْسُنُ
وَنفْسُكَ إنْ أبدتْ إليكَ مَعَايباً ... فَصُنْها وقلْ يا نفْسُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ

لقد سكتنا عن الكاتب فظن أننا عجزنا ، وما كان سكوتنا إلا ستراً

(١) انظر كتاب « من وحى القلم » للرافعى .

عليه ، لئلا يفتضح بين الناس ، بهذا الأسلوب الشاذ ، الذى يتورع عنه الدهماء ، ويتعالى عن مثله الرعاع ، ولكنه أبى إلّا أن يظلّ سادراً فى عدوانه ، فطبع من كتابه « التعالم » الطبعة الأولى » ، ثم الطبعة الثانية ، ثم الطبعة الثالثة فى أربع سنوات متواليات ، ولم يمنعه حياؤه وضميرُه ، أن يكفَّ عما سوّد به الصفحات ، من بذاءة ، وشَغَب ، وصَلَف ، ووقوع فى أعراض الناس بالباطل والبهتان ، بل زاد على ذلك بالتبجح بإخراج رسائل أخرى ، كلها تحمل ذلك العفن ، وإذا لم يكن مع اللسان عقل يحجزه ، دلَّ على عيب صاحبه ، كما قال الشاعر :

وإنَّ لسانَ المَرْءِ ما لم يكُنْ لهُ حَصَاةٌ على عَوْراتِـهِ لَدَلِيـلُ

وإلى السادة القراء صورة عما سطره فى رسالة التعالم « الطبعة الثالثة » ليعرفوا مقدار ما يتحلى به الرجل من أخلاق العلماء ، وأدب السلف ، وكلُّ الناس فى نظره « متعالمون » وهو العالم الفرقد ، والنجم الأوحد .

قال فى صفحة ٤٢ — ٤٤ ما يجد القارئ صورته .

فهل قرأتم مثل هذا الأدب الرفيع فى المحاورة والمناظرة ؟

وهل سمعتم عن كاتب يزعم انتسابه إلى السلف يجهر بمثل هذه الجرأة فى هتك الأعراض ؟

إن الكاتب الألمعى « بكر أبو زيد » لا يناظر عن دراية وإطلاع ، بل عن نقل وسماع ، فتراه فى رسائله المشحونة بالمغالطات ، لا يردُّك إلى ما رآه من

خطأً فى المؤلفات ، بل يردُّك على ما سطره غيره ، فيقول كما فى رسالة « التحذير من مختصرات محمد الصابونى فى التفسير » :

« وعليه فإننا نقول وننبه ، وننشر ونعلن ، أن هذا الاختصار لتفسير ابن جرير ، وابن كثير ، مسخٌ لهما عن مكانتهما السلفية .. ولا نعرف على مدى التاريخ من احترف التلبيس ، فسطا على تفسيرى ابن جرير ، وابن كثير ، قبل هذا العمل الذى أثار الرهج ، وآذى المهج ... »(١) .

وبعد هذا الزور والبهتان ، يُحيلك إلى ما انتقده البعض ممن ليس من أهل الاختصاص فيقول فى آية ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ صفوة التفاسير انظر فى كشفها تنبيهات ص ١١٣ آية ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ صفوة التفاسير ، وفى كشفها تنبيهات ص ٧١ آية ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ وفى كشفها تعقيبات ص ٩ وتنبيهات ص ١١٤ آية ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾ ولكشفها تعقيبات وتنبيهات ، وهكذا فى جميع ما يردُّ يُحِيلك على ما كتبه غيره ، والتنبيهاتُ التى يشير إليها لمؤلفها « محمد جميل زينو » و« التعقيبات » لمؤلفها الأستاذ « صالح الفوزان » وقد كنت رددت على ما ورد من اعتراضات ، عن كتابى « صفوة التفاسير » برسالة وضَّحتُ فيها بالأدلة الساطعة ، أقوال أئمة علماء السلف ، بحيث لا يبقى شك لمرتاب ، فأين هو الرد العلميُّ ، الذى يتسم بالنزاهة

---

(١) انظر رسالته « التحذير من مختصرات محمد الصابونى فى التفسير » ص ٢٧ .

والأمانة ، حتى يتهيأ للكاتب « بكر أبو زيد » أن يقطع ويجزم بخطأ هذه المختصرات ، ويخرج رسالته بعنوان صارخ : « التحذير من مختصرات محمد الصابونى فى التفسير » ؟.

التحذير

من مختصرات محمد علي الصابوني في التفسير

ويليه

تنبيهات مهمة لبعض العلماء

بقلم

بكر بن عبد الله أبو زيد

الطبعة الثانية منقحة

وفيها زيادات مهمة جدًا

الأحوال، وتتابع الأهوال، وفيا دُوِّن في صفحات التاريخ عِبرة لمن اعتبر، وعظة لمن ادَّكَر.

٣ ـ ومنه : تعالم التافهين، الفاشلين في التحصيل بله التحقيق ـ بتفسير كتاب الله تعالى؛ إذ أمرَّتهم السنون ولما يبرزوا، فسلكوا ذلك المنحى الخطير ليظهروا.

وقد قيل «إذا كنت خاملاً فتعلق بعظيم».
وقيل «ما أنصف القَارَةَ مَن باراها».
فهل سمعت بمفسر مُتعالم كذاب.
وهل سمعت بمفسر جاهل لا يدري السنة ولا يحفظ الكتاب.
وهل سمعت بمفسر يُحمِّلُ ايات التنزيل ما لا يخطر على بال.

كل هذا قد جُمع في هذا العصر، قليل الرشاد، كثير الفساد، لا يأنف متعالمه من الوصمة والعاب.

واسمع شكوى أجلة الشيوخ من هذا النعاق.
واقرأ أصله في : أصول التفسير، وفواتح كتب المفسرين، كتفسير ابن جرير رحمه الله تعالى، وتفسير ابن كثير رحمه الله تعالى، وإليك ما علقه العلامة أحمد بن محمد شاكر رحمه الله تعالى في كتاب: «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» إذ قال بعد حديث:
«من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ»:

(أمّا في عصرنا فقد نابت نوائب، ونبتت نوابت، ممن استعبدوا لآراء المبشرين وأهوائهم، وممن جهلوا لغة العرب إلا كلام العامة وأشباههم، وجهلوا القرآن فلم يقرؤه، ولا يكادون يسمعونه إلا قليلاً وجهلوا السنة، بل كانوا من أعدائها. وممن يسخروا من علم علماء الإسلام، وسفهت أحلامهم، ومردت ألسنتهم على قولة السوء في سلفنا الصالح، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، بل لا يؤمنون بالغيب إلا

قليلاً. هؤلاء وأشباههم وأمثالهم، اجترؤا على العبث بالقرآن، واللعب بالسنة، فعرضوا لتفسير القرآن، وزعموا لأنفسهم الاجتهاد الجاهل، يفتنون الناس ويعلمونهم اللعب والعبث، وينزعون من قلوبهم الإيمان: لا أقول إن هؤلاء وأولئك يفسرون القرآن بأهوائهم، فإنهم أضعف من أن تكون لهم أهواء وأشد جهلاً، بل بأهواء سادتهم ومعلميهم من المبشرين والمستعمرين أعداء الإسلام...)اهـ[1].

وقد ابتلي المسلمون من قبل ومن بعد بجهود منكرة من طراز آخر، وأسوأ مثال في المعاصرة مايراه البصير في كتابي «صفوة التفاسير» و «مختصر تفسير ابن كثير» كلاهما لخلفي محترق؟.

وإن تسلط الخلفي في الاعتقاد على ثروة علماء السلف في كتب التفسير مثل تفسير ابن جرير، وابن كثير، يمثل سطو أعداء السنة على راوية الإسلام الصحابي الجليل «أبي هريرة رضي الله عنه». فكما أن أبا هريرة رضي الله عنه الذي روى مايزيد عن خمسة آلاف حديث ــ شجى في حلوق العِدَاء، فكذلك تفاسير السلف المعتمدة مثل: تفسير ابن جرير، وابن كثير... شجى في حلوق الخلف في الاعتقاد والنابتة الفاسدة سواء.

وقد فزع أهل العلم وطلابه من تطاول هذا المغبون في حظه من العلم والتقى؛ إذ كدّر صفو التفاسير وعبث غاية العبث فيها وفي اختصاره تفسير ابن كثير. وانظر في كشفها:

١ ــ المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للشيخ محمد ابن عبدالرحمن المغراوي.

٢ ــ الرد على أخطاء محمد علي الصابوني. للشيخ محمد جميل زينو.

٣ ــ مقال للشيخ/سعد ظلام في : مجلة منار الإسلام.

٤ ــ وفي رسالة «منهج الأشاعرة في العقيدة» للشيخ سفر الحوالي.

(١) ونحوه في : كلمة حق ص/٥.

٥ ــ مقدمة الجزء الرابع من «السلسلة الصحيحة» للعلاَّمة الألباني، فقد شفى فيها وكفى.

٦ ــ وله في مواضع من الجزء الثالث من «السلسلة الضعيفة» ما يكشف هذا المبتلى المرائي المتشبع بما لم يعط، وعبثه في عدة عوامل هي:

(أ) الإخلال بالأمانة في النقل.

(ب) التصرف في عبارات السلف لتوافق مذهب الخلف في «باب الأسماء والصفات».

(جـ) حذف أحاديث صحيحة.

(د) كثرة إيراده الأحاديث الضعيفة، محذوفة الإسناد.

(هـ) إقحام آراء خلفية قد برأ الله منها عمدة التفاسير كابن جرير، وابن كثير.

(و) إيراد قراءات شاذة، والسكوت عليها. إلى غير ذلك من وجوه العبث، والكذب، والاختلاق والجهل المزمن. ومن نظر في المراجع الكاشفة المذكورة قامت أمامه الأدلة المادية على ذلك. وعليه:

فأنصح كل مسلم بعدم اقتناء هذين الكتابين «صفوة التفاسير» و «مختصر تفسير ابن كثير»، أو العزو إليها لفقد الثقة من كاتبها لما سمعت «واخْبُرْ تَقْلُه». والله أعلم.

٤ ــ ومنه تعالم بعض المنتسبين لخدمة السنة المشرفة: وأنواعه متعددة: فمنها: اتساع الدعوى: فقد ركب لذلك الصعب والذلول، وأتى الناس فيه بالعجائب، وتطاول إليه أناس لا يعرفون من العربية حرفاً، ولا من الفقه فرعاً، ولا في الاصطلاح نوعاً، وإنما اقتحموا العقبة ولا كالسارق الظريف بجرأة بالغة وفراهة، ودعوى واسعة وصفاقة، ومشوا على الأرض بأنوف شامخة وأفكار متلاطمة، وعند المفاتحة يضيقون ذرعاً، ويوسعونك لوماً وقدحاً، فيخبطوا في الرواية خبط عشواء في: التصحيح والتضعيف ومستكره الفهم والتأويل، وسرعة الحكم بلا

انتهى كتاب التحذير

للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد
وكيل وزارة العدل في المملكة العربية السعودية
ورئيس مجمع الفقهي الإسلامي في جدة

ويليه زيادات مهمة

---

(١) هكذا ورد في نهاية كتاب التحذير « ورئيس مجمع الفقهي الإسلامي » وهو خطأ من حيث اللغة ، وصوابه أن يقول : المجمع الفقهي ، أو مجمع الفقه الإسلامي .

لماذا هذا التهويشُ والتضليل ؟

وأقول لسيادة الكاتب « أبو زيد » لماذا هذا التهويش والتضليل للقراء ، فأنت تحذر ، من مختصر ابن جرير ، وابن كثير ، وتقول : إنَّ هذا الاختصار ، مسخ لهما عن مكانتهما السلفية ، ثم يقول : انظر صفوة التفاسير وفى كشفه تنبيهات وتعقيبات ؟

ما دَخْلُ صفوة التفاسير — إن كان فيه خطأ — فى موضوع تفسير ابن كثير ، وتفسير الطبرى ، لماذا لا تضع النقاط على الحروف فتقول مثلاً : نَقَل عن ابن كثير كذا ، وهو خطأ وصوابه كذا ، وأخطأ فى المواطن الآتية من تفسير ابن جرير ، وتذكرها حتى يتضح للسادة القراء ، صدق ما حذَّرت منه من خطر هذا المسلك .

إنى أتحدى الكاتب تحدياً ، أن يذكر لى أمثلة ، عن تحريفى فى مختصر ابن كثير ، ومختصر الطبرى ، ويذكر المواطن التى عبثتُ فيها — على حد زعمه — بحيث لم يعد بهما ثقة كما ذكر سيادته السالفة !.

لقد ذكر الحافظ ابن كثير فى تفسير آية ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ حديث البخارى ، فذكرته فى مختصر تفسير ابن كثير كاملا ، ولم يورده الطبرى فلم أورده فى مختصر الطبرى ، فكيف يكون ذلك خيانة ؟.

إن الخيانة أن ننسب إلى الإنسان ما لم يقله ، أو أن نفترى على لسانه ما لم يذكره ، فهل يحب « بكر أبو زيد » أن أُقحم فى تفسير الطبرى ، شيئاً ليس من كلامه ، حتى يرضى عنا سيادته ؟.

وإذا كنتُ قد رجحت فى كتابى « صفوة التفاسير » قول جبر الأمة ، وترجمان القرآن « عبد الله بن عباس » أن المراد من آية ﴿ يوم يُكشف عن ساق ﴾ هو أهوال القيامة وشدائدها ، كما ذهب إليه ابن تيمية ، وأئمة علماء السلف من المفسرين ، فأنا لا أكون بذلك ضالًا ، ولا مبتدعاً ، ولا خائناً ، كما وصفنى بذلك الأخ صالح الفوزان ـــ سامحه الله ـــ فقال فى تعقيباته : ومن العجيب أن الصابونى ساق آخر الحديث « يسجد لله كل مؤمن ومؤمنة .. وحذف أوله الذى هو تفسير الآية الكريمة ، وبيان المراد بالساق ، وهذا والعياذ بالله من التلبيس ، والخيانة فى النقل » انظر تعقيبات ص ٤١ .

وقد تلقَّف الكاتب اللامع « أبو زيد » هذه العبارة فأثبتها فى رسالة التعالم ، ورسالة التحذير ، وكأنها كشف علمى هائل ، دون أن يتحقق من الأمر ، ثم زعم سيادته أن هذه خيانة مع أن الكلام والانتقاد كان لصفوة التفاسير ، لا لمختصر ابن كثير ، فلماذا هذا التلبيس على الناس ؟ وأنا أحب أن أقول هنا كلمة : إذا كان رأى ابن عباس ضلالة وابتداعاً فى دين الله ، فبكلام من نثق من علماء السلف ؟.

وإذا كان ما قاله ابن تيمية يعتبر جهالة وتخليطاً وتلبيساً ، فمن هم الذين يعتد بكلامهم عندك ؟

وها أنا ذا أنقل هنا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتاوى ، حول هذه الآية ليعلم الذين رمونى بالضلالة والابتداع ، خطأ منهجهم فى

القذف ، بدون علم ولا تثبت .

قال ابن تيمية رحمه الله : « وتمامُ هذا أنى لم أجدهم تنازعوا إلا فى مثل قوله تعالى ﴿ يومُ يكشف عن ساق ﴾ فرُوي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة ، إن الله يكشف عن الشدة فى الآخرة ، وعن أبى سعيد وطائفة أنهم عدوُّها فى الصفـات ، للحديث الذى رواهُ أبو سعيد فى الصحيحين .

ثم قال : ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات ، فإنه تعالى قال ﴿ يوم يُكشف عن ساق ﴾ نكرة فى الإثبات ، لم يضفها إلى الله ، ولم يقل : عن ساقه ، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر ، ومثل هذا ليس بتأويل ، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف .. »[1] .

هذا نص كلام ابن تيمية ، وهذا القول الذى نقله ابن تيمية عن ابن عباس ، اعتمده أساطين العلماء ، وجهابذه المفسرين ، كابن جرير الطبرى ، وابن عطية ، والقرطبى ، وأبى حيان ، وابن كثير ، وابن الجوزى ، والنسفى ، والألوسى ، والرازى ، والقاسمى ، وغيرهم ممن لا يُحْصون عدداً ، وكلهم ذهب إلى ما ذهب إليه ابن عباس .

أفلا يستحي الواحد منا أن يقول : إن هذا القول ضلالة وخيانة

---

(١) الفتاوى ٦/٣٩٤ .

وتلبيس على الناس ؟ ما أجرأ من يتكلم بدون علم ، فيرمى الناس بالزيغ والضلالة ، ويعتبر سيادة الكاتب « أبو زيد » ذلك تحريفاً وخيانة ، وهو لا يدرى أقوال المفسرين ؟.

أيها الكُتَّاب تحققوا وتثبتوا قبل أن ترموا الناس بالزيغ والضلالة ، وقبل أن تقذفوا علماء السلف بالجهل ، وعدم فهم الشرع والدين !!

صورة عن كلام ابن تيمية من الفتاوى ج ٦/٣٩٤ .

السلف » فان هذا الكلام مكذوب علي ، وقد ثبت تناقض صاحبه ، وانه لم يذكر عن السلف الا ما اعترف بضعفه .

واما الذي اقوله الآن واكتبه – وان كنت لم اكتبه فيما تقدم من اجوبتي وانما أقوله في كثير من المجالس – إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات ، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها .

وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ، وما رووه من الحديث ، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار اكثر من مائة تفسير ، فلم أجد – الى ساعتي هذه – عن احد من الصحابة انه تأول شيئاً من آيات الصفات او احاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف ؛ بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته ، وبيان ان ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله . وكذلك فيما يذكرونه آثرين وذاكرين عنهم شيء كثير .

X وتمام هذا اني لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى : (يوم يكشف عن ساق) فروي عن ابن عباس وطائفة ان المراد به الشدة ، إن الله يكشف عن الشدة في الآخرة ، وعن ابي سعيد وطائفة انهم عدوها في الصفات ؛ للحديث الذي رواه ابو سعيد في الصحيحين .

ولا ريب ان ظاهر القرآن [لا] يدل على ان هذه من الصفات فانه قال : (يوم يكشف عن ساق) نكرة في الاثبات لم يضفها الى الله ، ولم يقل عن

ساقه ، فمع عدم التعريف بالاضافة لا يظهر انه من الصفات الا بدليل آخر ، ومثل هذا ليس بتأويل ، انما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف ؛ ولكن كثير من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولاً له ، ثم يريدون صرفه عنه ، ويجعلون هذا تأويلاً ، وهذا خطأ من وجهين كما قدمناه غير مرة .

وأما قوله : « لو كان نوراً حقيقة — كما تقوله المشبهة — لوجب ان يكون الضياء ليلاً ونهاراً على الدوام » : فنحن نقول بموجب ما ذكره من هذا القول . فان المشبهة يقولون : إنه نور كالشمس ؛ والله تعالى (ليس كمثله شيء) فانه ليس كشيء من الأنوار ، كما ان ذاته ليست كشيء من الذوات ؛ لكن ما ذكره حجة عليه ، فانه يمكن ان يكون نوراً يحجبه عن خلقه كما قال في الحديث : « حجابه النور — أو النار — لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

لكن هنا غلط في النقل ، وهو اضافة هذا القول الى المشبهة ، فان هذا من اقوال الجهمية المعطلة ايضاً كالمريسي ، فانه كان يقول . إنه نور ، وهو كبير الجهمية ، وان كان قصده بالمشبهة من اثبت ان الله نور حقيقة ، فالمثبتة للصفات كلهم عنده مشبهة ، وهذه « لغة الجهمية المحضة » يسمون كل من اثبت الصفات مشبهاً .

فقد قدمنا ان ابن كلاب والاشعري وغيرهما ذكرا ان نفي كونه نوراً في

جنايته على التراث

لقد جنى (بكر أبو زيد) على نفسه وعلى العلم ، حين تصدَّى لأمور لا يتقنها ، وتطاول فى مؤلفاته على إخوانه من أهل العلم ، فرماهم بالتزوير والتحريف من غير دليل ولا برهان ، فتراه يكتب فى رسالته « الرقابة على التراث وحمايته من الجناية عليه » ما يشهد الفضلاء والعلماء أنه فيه غير صادق ، حيث يقول ما نصُّه : « وثبةُ الأدعياء على كتب العلماء ، باختصارها ممن لا يحسن ما فيها ، فيخلُّ بمقصود مؤلفه ، ويمسخه عن مكانته ، ولا يكون له من صدق القول إلا ما رُسم على الغلاف ، أمَّا داخله « الاختصار » فيحمل غوائل متعددة ..

ثم يقول : وأقول بلا مواربة : إن أسوأ اختصار قرع سمع الزمان — فيما نعلم — إذ جنى صاحبه على الأصل هو « مختصر الصابونى لتفسير ابن كثير ، وابن جرير ، ولتفاسير أخرى فى صفوة التفاسير ، فجميعها لا تترشح للاختصار الأمين ، فقد اعتدى على هذه الأصول بغير حق ، ومسَّها بتحريف وتبديل ، ولو كان أحدهم حياً لتبرأ من هذه الدخولات بما لم يرقمه ولا يعتقده .. »[1] .

هذا نصُّ كلامه كما جاء فى رسالته « الرقابة على التراث » .

---

(١) الرقابة على التراث ص ١٧ .

ونحن نقول بدورنا له : هذا والله عينُ الزور والبهتان ، فأين هو التحريف والتبديل فى مختصر ابن كثير ، ومختصر ابن جرير ؟ أثبتْ إن كنتَ واثقاً ، وشمِّر عن ساعدك إن كنتَ صادقاً ، فأرنا ما فيه من تحريف وتزوير ، ولا تتهم أحداً بالباطل ، دون علمٍ ولا تثبُّت ، ودون فهمٍ ولا إدراك ، فالناس لهم عيون ، ولهم نور وبصيرة ، يميّزون بين الحق والباطل ، والصدق والافتراء !!

الخلط بين المؤلفات

أما خلطك بين المختصرين ، وبين « صفوة التفاسير » واعتبار أنها كلها مختصرات فهذا برهان على عدم اطلاعك على ما فيه ، واكتفائك بما نُقل إليك ، وهو من أسباب جنايتك على العلم وأهله ، واتهامك للناس بالباطل .

إن كتاب « صفوة التفاسير » كتاب مستقل ، مؤلف لخادم الكتاب والسنة (الشيخ محمد على الصابونى) وليس اختصاراً كما زعمتَ ، يشهد بذلك كلُّ من قرأه ، وطالع ما فيه بتجرد ونزاهةٍ ، وعدم تطاولٍ بالزور والبهتان ، فكيف تجعله جنايةً على التراث ، يتبرأ منه صاحبه ؟ لماذا تخبط خبط عشواء فى أمور لا تعرفها ، وأنت تدعو إلى الرقابة على التراث ؟ أهذا من الصدق ؟ أم هذا من الأمانة ؟ أم هو من التعالم على الناس ؟.

هل صار كتاب « صفوة التفاسير » تراثاً وجنينا عليه — كما زعمت — فى مؤلفك القيم ؟ والله تعالى يقول : ﴿ ولا تَقْفُ ما ليسَ لكَ بِهِ علمٌ ، إنَّ السمعَ ، والبصرَ ، والفؤادَ كلُّ أولٰئكَ كانَ عنه مَسْئُولًا ﴾ يا أخى إن لم يعجبك عمل العبد العاجز ، فأرنا همتك ونبوغك ، وقدِّمْ للمسلمين ما يسهِّل عليهم فهم الكتاب العزيز ، لتنال عند الله الأجر والمثوبة ، والثناء العاطر من عباده ، بدل أن تخرج لنا هذه الرسائل المظلمة ، وكلُّها سباب وشتائم ، تنثرها على رءوس إخوانك ، كأنك تنثر عليهم الزهور والرياحين !! ثم هل تعلم — يا أخى الكاتب — أنك بهذا التجنى على مختصرات ابن كثير قد نلت من مكانة « رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد » فإنَّ الكتاب لمَّا طبع قدَّمته بنفسى لها ، وبعد دراسةٍ وتمحيص دقيق دام شهوراً ، اشترت ألف نسخة ، ووزعتها على طلاب العلم ، ثم اشترت كمية منه من دار القرآن الكريم ووزعتها ، ثم جاءها كميات كبيرة منه من المحسن السيد حسن الشربتلى ، وكلها قد تم توزيعه عن طريقها ، فكيف تتّهم هذا الاتهام الظالم ، أنه أسوأ اختصار ، قرع سمع الزمان ، أليس فى هذا ما يخدش سمعة المسئولين فى الرئاسة ؟

تحقيق معانى القرآن للنحاس

وكذلك جامعة أم القرى أسندت إلىَّ تحقيق الكتاب القيم « معانى القرآن الكريم » للإمام أبى جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وهو من الكتب العلمية النادرة ، وليس له إلا نسخة واحدة فى العالم ، وقد خرج الكتاب بتحقيقى فى ستة أجزاء ، وهو يحمل اسم جامعة أم القرى كما يرى القارىء صورته « مركز البحث العلمى لتحقيق التراث » فحين تقول عن أخيك الشيخ : « مفسِّرٌ كذَّاب ، لا يدرى السنة ، ولا يحفظ الكتاب .. قليل الرشاد ، كثير الفساد .. » إلى آخر تلك الدرر التى سطَّرها يراعك البارع ، أليس هذا طعناً فى الجامعة ، وأساتذة الجامعة ؟

ألا تتقى الله فى أقوالك وأعمالك ، وفى عباد الله المؤمنين !؟

لقد مكثتُ فى جامعة أم القرى قرابة ثلاثين سنة مدرساً ، وتخرَّج منها أجيالٌ وأجيال ، بعضهم أساتذة لك ، هم اليوم يحملون مشعل النور والعلم ، فى المملكة الحبيبة ، أفلا تستحى أن تقول عن أحد هؤلاء الشيوخ الذى خدموا العلم : مفسرٌ كذاب ؟. أفلا يؤنّبك ضميرك على هذا الكلام ؟ ولكنْ الله حسيبُ كل ظالم .. وعند الله تجتمع الخصوم !!

والله ما رأيتُ مثلك جريئاً على عباد الله دون تحفُّظ ولا ورع ، تنهش فى الأعراض ، وتنقِّب عن بعض الهنات ، أما سمعت قول رسول الهدى « إنّ

من أربى الربا : الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق »[1] ؟ أم أن هذا الحديث فى نظرك منسوخ ؟ أما قرأت قول الرسول عليه السلام « كلُّ المسلم على المسلم حرام : دمُه ، ومالُه ، وعرضُه »[2] ؟ أم أنك لا تفقه هذه الأحكام ؟ يا أسفا عليك يا شيخ العدل والفقه !.

تطاوله على السنة النبوية

والأستاذ بكر أبو زيد مغرم بالسجع ــ أعنى سجع الكُهَّان ــ ، كما هو مغرمٌ بتتبع الهفوات والعثرات ، لا ينجو من لسانه كبير ولا صغير ، ولا طالب علمٍ ولا إمام حافظٍ ذو شأن خطير ، ولا نقول ذلك تجنّياً عليه ، إنما من فمه ندينه ، وبكلامه نحجُّه ، ونقول له ما قاله العرب فى الأمثال : « يداكَ أَوْكَتا وفُوكَ نَفَخ » .

استمع إلى سجعه الهابط ، فى دك حصون المتعالمين ، حيث يقول :

وقد أقام الله سبحانه لكل عالم ، ورئيس فاضل ، من يظهر مماثلته ، ويرى الجهال ــ وهم الأكثرون ــ مساجلته ومشاكلته ، وأنه يجرى معه فى الميدان ، وأنهما عند المسابقة كفرسَىْ رهان ، لا سيّما إذا طوَّل الأردان ، وأرخى الذوائب الطويلة وراءه كذَنَب الأتَان ، وهَدَر باللِّسان ،

(١) أخرجه أبو داود فى باب الغيبة رقم ٤٨٨١ .

(٢) الحديث تقدم تخريجه .

وخلا لَه الميدان !!

فلو لبسَ الحمارُ ثيابَ خَزٍّ لقالَ الناسُ يا لكَ من حمار(١)

أقول : ما شاء الله على هذا الأدب الجمِّ ، والخُلقِ الرفيع ، يشبّه من يتعمَّم من العلماء ، ويلقى الذوائب كذنب الأتان ، والأتانُ : أنثى الحمار !!

أَوَلا يعلم سيادةُ الكاتب أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان له ذوائب ، وكان يضرب شعره إلى منكبيه ؟! أم هو جاهل بالأحكام الشرعية ؟ فقد روى أبو داود والترمذى عن أم هانئ رضى الله عنها أنها قالت : « قدم رسولُ الله ﷺ مكة وله أربعُ غدائر »(٢) .

وروى البخارى ومسلم عن أنسٍ رضى الله عنه قال : كان شَعَر رسولِ الله ﷺ بين أذنيه وعاتقه ، وكان يضرب شعرُه منكبيه »(٣) يعنى أنه طويل الشعر .

ويحك أتدري ما تكتب وما تقول ؟ أم أنك تهرف بما لا تعرف ؟ هل تعلم أنك بكلامك هذا الغليظ ، قد نلتَ من سنة سيد المرسلين ؟ فقد كانت له ﷺ ذوائب وضفائر ، فكيف تقول ساخراً متهكماً : وأرخى

---

(١) كتاب التعالم لمؤلفه بكر أبو زيد ص ٣٣ .

(٢) أبو داود فى اللباس رقم ٤١٩١ والترمذى رقم ١٧٨٢ قال ابن الأثير : والغدائرُ : الذوائبُ جمع غديرة ، وانظر جامع الأصول : ١١/ ٢٣٦ .

(٣) البخارى فى اللباس ١٠/٣٥٦ ومسلم فى الفضائل رقم ٢٣٣٨ ، والنسائى فى الزينة ٨/١٨٣ باب اتخاذ الجمَّة .

الذوائب الطويلة خلفه كذنب الأتان ؟! ثم تردفه ببيت من الشعر عن جمال الحمار ؟ وعن لباس الحمار ؟

أهكذا يكون أدب الفقهاء وقضاة الدين ؟

أهكذا يتحدث الفضلاء ؟

أهكذا يكون الأدب عند أهل الفضل والعلم ؟

إنك تُزرى بأدعياء العلم من « المتعالمين » كما سميت كتابك بـ « التعالم » فكيف وقعت فى شرٍّ ما وقع به جاهلٌ متعالم ؟

ولكنْ إذا ساء ظنُّ الإنسان بإخوانه ، ساء أدبه معهم ، وساء كلامه ، وربَّ كلمةٍ تقول لقائلها : دعنى ! وربَّ ثوبٍ يقول للابسه : اخلعنى !!

كلام الحافظ ابن حجر

إن كنت جاهلًا بما تقول ، فبئس هذا التعالم على عباد الله ، وإن كنت عالماً بمعنى ما كتبتَ ، وجب تعزيرُك لسوء أدبك . واستمع إلى ما قاله الحافظ ابن حجر ، حول هذا الذى تهزأ وتسخر منه ، من السنة المطهرة.

قال رحمه الله : وما دلَّ عليه الحديث من كون شعره ﷺ كان إلى قرب منكبيه ، كان غالب أحواله .. **وكان ربما طال حتى يصير ذُؤابةً ، ويتخذ منه عقائص وضفائر** ، كما أخرج أبو داود والترمذى بسندٍ حسن من حديث أم هانئ قالت : « قدم رسولُ الله ﷺ مكة وله أربع غدائر » وفى رواية ابن ماجه « أربع غدائر يعنى ضفائر » والغدائرُ : بالغَيْنِ المعجمة جمع غديرة ، بوزن عظيمة هى الذوائب ، والضفائر هى العقائص »[1] انتهى كلام ابن حجر .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى : ١٠/٣٦٠ .

وإن كنت تريد بالذوائب إرخاء طرف العمامة بين الكتفين ، فهذا أيضاً رعونة وجهالة ، فقد أخرج مسلم فى صحيحه عن عمرو بن حُرَيث عن أبيه أنه قال : « كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ على المنبر ، وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفيها بين كتفيه »[1] .

وفى رواية « قد أرخى طرفها بين كتفيه »[2] وهذا مشهور فى لباس رسول الله ﷺ فلماذا هذا التطاول على السنة النبوية المطهَّرة ؟. أما تستحى من مثل هذا الكلام ؟ وسواء كان المراد هذا أو ذاك ، فكلٌّ منهما هذيان وسُمٌّ زُعاف ، وأنت وقعت بين شرّين أحلاهما مرٌّ ، وقديماً قال الشاعر العربى :

يا واعظَ الناسِ قد أصبحتَ متَّهماً . إذ عبتَ فيهم أموراً أنتَ تأتيها
وأعظمُ الإثم بعد الشركِ نعلَمُه فى كلِّ نفسٍ « عَمَاها » عن مَسَاويها
عرَّفتها بعيوبِ الناس تُبْصِرُها منهم ولا تبصرُ العيبَ الذى فيها

ما أجرأك يا بكر على السنة النبوية المطهرة !! أو ما أجهلك بهدى سيد المرسلين !!

تهزأ وتسخر دون معرفة ، فتقول : وأرخى الذوائب الطويلة خلفه كذنب الأتان !؟

* * *

(١) صحيح مسلم : ٢/٩٩٠ رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالرياض .

(٢) سنن النسائى : ٨/٢١١ كتاب الزينة قال القاضى عياض : الصواب « طرفها » بالإفراد ، لا بالتثنية .

إشعاله نار الفتنة المذهبية

ومن غرائب هذا الكاتب التى لا تتناهى — وهى ضربٌ من ضروب التعالم — أنه اختلق قصة مكذوبة ، لا أصل لها من الصحة ولا أساس ، وبنى عليها حكماً ظالماً جائراً ، لإشعال نار الفتنة المذهبية ، والطعن فى مذاهب الأئمة المجتهدين ، الذين خدموا الشريعة الغراء لوجه الله تعالى ، لا لمناصب ومكاسب دنيوية .

وخلاصة هذه القصة — كما زعمها — أن فقيهاً شافعياً لم يدرك مرتبة الفتيا ، احتاج أهل بلده مفتياً لهم ، ولم يجدوا سواه ، فاستشار شيخاً له ، فأشار عليه بأن يجيب سائليه بوجود قولين فى المسألة عند الشافعى ، ففعل ، فسأله أحدهم : « أفى الله شكٌّ » ؟ فأجاب فى المسألة قولان ، فافتضح أمره .

ثم قال سيادة الكاتب :

وهذه القصة لم يتمَّ الوقوفُ عليها فى مصدر موثوق .. والذى يظهر والله أعلم أنها **من تحطُّط الحنفية على الشافعية ، فإن بينهم من العداء المذهبى ما لا يخفى ، وللحنفية عليهم فضلُ زيادة فى هذا** ، ومن أجله تراها فى بعض ردود الحنفية على الشافعية .. إلخ .

أقول : قاتل الله الجهل والكذب والعدوان ، فهذا والله محض الزور

والبهتان ، على فقهاء المذاهب الأربعة ، فإن بينهم من المحبة والفضل والإجلال ، ما يقمع به افتراء كلِّ متطاول جاهل ، وليس أدلَّ على ذلك ممَّا نراه فى كتب الفقه المشهورة عند أئمة المذاهب ، من عرض أدلة المذهب الآخر ، فيقول الحنفية مثلًا : ولمسُ المرأة لا ينقض الوضوء ، سواءٌ كانت زوجة أو أجنبية ، وقال الشافعى رضى الله عنه : ينقض الوضوء لقوله تعالى . ﴿أو لامستم النساء﴾ ولنا أن المراد بالملامسة هنا الجماعُ كما فسَّره حبر الأمة ابن عباس ، ولم يقل تعالى : لمستم النساء ، وإنما قال : « لامستم النساء » فدلَّ على أن المراد به الجماع ، لأن المشاركة فيه من الطرفين .. إلخ .

وهكذا فى سائر الأحكام الفقهية يعرضون دليلهم ، ودليل المذهب الآخر ، ويوضحون دليل من خالفهم ، ويناقشونه بكل أدب واحترام ، وانظر كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسى ، وكتاب الهداية ، وكتاب الاختيار ، وسائر كتب الأحناف ، وكذلك الحال عند أئمة فقهاء الشافعية ، وفقهاء الحنابلة والمالكية ، كلٌّ منهم يعرض دليله ، ودليل من خالفه بكل أدب واحترام ، وليس فيه مما يزعم الكاتب ممَّا يشوِّه سمعة الفقهاء ، وانظر المغنى فى الفقه الحنبلى لابن قدامة حيث لا نجد فيه إلَّا كل إجلال وإكبار لأقوال الأئمة المجتهدين .

ثم إذا كان سيادة الكاتب نفسه ، يذكر أن القصة لم يتمَّ الوقوف عليها فى مصدر موثوق ، ويعنى أنها قصة مكذوبة باطلة ، فلماذا يصدر هذا

الحكم الظالم ويقول : ويظهر أنها من تحطط الحنفية على الشافعية ، فماذا يريد من وراء هذا إلّا أن يشعل نار الفتنة المذهبية ؟

اتق الله يا شيخ بكر فى الأئمة المجتهدين ، واحذر أن تكون أنت كما قلت فى كتابك : ذاك المُبْلِسَ ، المفلس[١] .

ولا يكفُّ الكاتب عن الغمز واللمز فى فقهاء الأحناف على وجه الخصوص ، ففى صفحة ٦٧ يقول : **وهذه لا يمكن أن تقع إلا بمشورة حنفى محترق** .. وفى صفحة ٩٢ يقول بكل صلف ووقاحة : « **لكن الظاهر أنها موضوعة من تحطُّط الحنفية على البخاري ، وكم لعددٍ منهم ضدَّه من مواقف آذوا أنفسهم بها لأنه ليس حنفياً** .. »[٢] .

أقول : هذا والله افتراء ومحض بهتان على فقهاء الأحناف ، فليس عند أحد من المسلمين حنفياً كان ، أو حنبلياً ، أو شافعياً ، أو مالكياً ، إلّا كلُّ حبٍ وإجلال ، واحترام وتكريم ، لأمير المؤمنين فى الحديث الشريف الإمام « البخارى » رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مسكنه ومأواه ، بما خدم به سنة سيد المرسلين ﷺ .

وأبسط ردٍّ على هذا الافتراء كتاب « عمدة القارى بشرح صحيح البخارى » للشيخ الإمام العلامة (بدر الدين محمود العينى الحنفى) المتوفى سنة ٨٥٥ هـ حيث يقول فى مقدمة كتابه — وهو من أئمة فقهاء

---

(١) كتاب التعالم ص ٦٣ وفيه يقول أيضاً : أعان الله أرضاً أقلّته ، ورحم الله تربةً وارته .
(٢) حاشية ص ٩٢ من كتاب التعالم .

الأحناف ــ ما نصُّه :

« إن السُنَّة إحدى الحجج القاطعة ، وأوضحُ المحجة الساطعة ، وبها ثبوت أكثر الأحكام ، وعليها مدار العلماء الأعلام ، وكيف لا وهى القول والفعل من سيد الأنام ، فى بيان الحلال والحرام ، اللَّذيْن عليهما مبنى الإسلام !! وهى من مختارات العلوم ، ولولاها لما بان الخطأ عن الصواب ، ولما تميَّز الشَّرابُ من السَّراب .. ولقد تصدت طائفة من السلف الكرام ، ممن كساهم الله جلابيب الفهم والإفهام ، إلى جمع سنن من سنن سيد المرسلين ، هادية إلى طرائق شرائع الدين ، وتدوين ما تفرَّق منها فى أقطار بلاد المسلمين ، بتفرق الصحابة والتابعين الحاملين ، وبذلك حفظت السنن وسلمت عن زيغ المبتدعين ، وتحريف الجهلة المدَّعين ، **فمنهم الحافظ الشهير ، المميز الناقد البصير ، الذى شهدت بحفظه العلماء الثقات ، واعترفت بضبطه المشايخ الأثبات ، ولم ينكر فضله علماءُ هذا الشأن ، ولا تنازع فى صحة تنقيده اثنان : الإمام الهُمام حجة الإسلام (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى) أسكنه الله فسيح جنانه ..**»[1] .

هذا ما يقوله فقيه من كبار فقهاء الأحناف عن الإمام البخارى ، وهو ما يدين الله عليه سائر فقهاء الحنفية ، فلماذا هذا التجنى بالذات على فقهاء الأحناف ؟.

أما تتقى الله يا شيخ بكر فى علماء المسلمين !! تتهمهم بما هم منه

---

(١) من مقدمة الإمام العينى الحنفى الحلبى على شرح صحيح البخارى : ٢/١ .

براء ، ولكن كما قال الشاعر :

إذَا لَمْ يكِنْ للمرءِ عَيْنٌ صَحِيحَةٌ ... فلا غَرْوَ أن يَرْتابَ والصُّبْحُ مُسْفِرُ

لماذا هذا التسلط على العباد ، والتطاول على الأئمة الأحناف فى مواطن عديدة من رسائلك ومؤلفاتك العتيدة ؟!

تنتقد على غيرك تطاوله بلسانه ، فتشيعه ذماً ، وتجريحاً ، وقدحاً ، ثم تقع بأشد ممَّا وقع فيه من الشغب ، والتعالم على عباد الله ؟

ولنستمع إليه وهو يسوق لنا الدرر الفريدة حيث يقول فى ص ٦٩ :

« ومن المتعالمين الغنادر ، وهو المشاغب ، المتطاول بلسانه على العباد ، بداء الفحش والبذاء ، المحروم من ميراث الأنبياء فى عفة اللسان ، وصيانته من الخنا .. والمتطاول كَبَتَ الله باطَله ، يسلُّ لسانه على العباد ، فيتقيه المؤمنون ، ويترفعون عن منازلته ، فتكون لهم العاقبة ، فيرتفع شأنهم عليه ، أمَّا هذا السليط المتسلط فهو مبتلى ـ ويعلم الله ـ بأعظم بلية ، وهى : موتُ قلبه ، ورؤيتُه القبيح حسناً ، وذهاب رصيده من القبول له فى الأرض .. »[١] .

أقول : أنسيت يا دكتور بكر ما قلته عن إخوانك من أهل العلم ، بسلاطة لسان ، وجرأةٍ تصل إلى حدِّ الهذيان ، فى نثر معايبهم ، أم أن ذنبك مغفور لأنك دكتور ؟!

واسمع ما قاله الشاعر :

---

(١) انظر رسالة التعالم لأبي زيد ص ٦٩ .

يا أيها الرجـــلُ المعلِّـــمُ غيره هَلَّا لنـفسِكَ كان ذَا التعليـمُ ؟
ابْدأْ بنـفسِكَ فانْهَهَـا عن غَيِّهـا فإذَا انتهتْ عنـهُ فأنتَ حَكِيـــمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتـأتى ، مثلَـهُ عَارٌ عليكَ إذا فعلتَ عَظِيـــمُ

فهل عرفت يا سيادة الدكتور من هو المتطاول على عباد الله ، بالسلاطة وبذاءة اللسان ، الذى تطلب من الله أن يَشُلَّ لسانه ، ويقطع بنانه ؟

نسأل الله لك السلامة والنجاة من عذاب الله ، فقد خضت — والله — بالباطل فى أعراض المؤمنين ، بما لم يأذن لك به الدين !! وصدق الله العظيم : ﴿ أتأمرونَ الناسَ بالبِرِّ وتَنْسَوْنَ أنفسَكُمْ وأنتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا لِمَ تَقُولونَ ما لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عندَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ ﴾ .

« قصة مختلقة على مفسّر لغوى »

ومن العجيب فى أمر أبى زيد أنه يأتى بأخبار للتندر على علماء اللغة والدين ، وهو لا يدرى فضلهم ، ولا يعرف قدرهم ، وينسب إليهم نقائص ومعايب ، هم برآء منها ، وبعض من تكلَّم عنهم ونال منهم ، من أكابر علماء اللغة والتفسير ، وليس الغرض من هذا ، إلا التشنيع على علمائنا الأوائل رحمهم الله ، وإظهارهم بمظهر المتعالمين ، حتى يخلو لسيادته الميدان ، بأنه علَّامة الزمان ، وفقيه الأمصار والبلدان ، لا يجاريه

أحد فى قديم ولا حديث !!

ولنستمع إليه وهو يشنّف الآذان ، بما سوَّد به صفحات كتابة « التعالم » حيث يقول عن العالم الفاضل الزاهد ، **المفسِّر اللغوى الأديب** (محمد بن عبد الواحد البارودى) المشهور بلقب « **غلام ثعلب** » المتوفى سنة ٣٤٥ هـ وهو من أئمة علماء اللغة والدين ، المشهود لهم بالعلم والفضل ، فيتهمه بالكذب ، ويسخر منه ، بأسلوب يمجُّه أهل الغباء ، فضلًا عن أهل الفهم والذكاء — وقد أورده فى ضمن المتعالمين — حيث يروى هذه القصة المختلقة فيقول :

« يُروى أن جماعةً ببغداد ، اجتازوا على قنطرة ، وتذاكروا ما يُرمى به من الكذب ، فقال أحدهم : أنا أصحِّف له « القنطرة » وأسأله عن معناها فننظر ما يجيب » !!

فلما دخلوا عليه ، قال له الرجل : أيها الشيخ ما « الهَرَطْنق » — مقلوب قنطرة — عند العرب ؟ فقال : كذا وكذا ، وذكر شيئاً ، فتضاحك الجماعة وانصرفوا ، فلما كان بعد شهر ، أرسلوا إليه شخصاً آخر ، فسأله عن « الهرطنق » فقال : أليس قد سئلتُ عن هذه المسألة منذ كذا وكذا ؟ ثم قال : هو كذا وكذا — كما أجاب أولًا — فقال القوم : فما ندرى من أىّ الأمرين نعجب ؟ من حفظه إن كان علماً ، أم من كذبه إن كان كذباً ؟.

فإن كان علماً فهو اتساع عجيب ، وإن كان كذباً فكيف تناول ذكاؤه المسألة ، وتذكَّر الوقتَ ، بعد أن مرَّ عليه زمان ، فأجاب بذلك الجواب

بعينه(١) ؟

أقول : بئس ما رويتَ ، وبئس ما كتبتَ يا سيادة الكاتب الألمعى !!

ألا تعلم أن هذا الذى رويتَ عنه هذه القصة المختلقة من أكابر علماء اللغة ، ومن أكابر المفسرين ؟ وهو أيضاً من أكابر المحدثين ؟ له كتاب « غريب مسند الإمام أحمد بن حنبل » وله كتاب « ياقوتةُ الصراط فى تفسير غريب القرآن » فكيف تتهمه بالكذب ؟ ولماذا لم تفصح عن الشىء الذى فسَّر به « الهرطنق » إن كنت صادقاً فيما تقول ؟ هذا العالم الذى خدم الكتاب والسنة ، وأملى ثلاثين ألف ورقة فى اللغة عن ظهر قلب ، كما جاء ذلك مفصلًا فى ترجمته ، تتهمه بهذا الاتهام الشنيع ، أنه متعالم كذاب ؟ ويحكِ يا أبا زيد من هذا البهتان ؟ ألا تعلم أنه لا يوجد فى اللغة العربية « هَرَطنق » وهو إمام من أئمة اللغة ، فكيف يكذب على اللغة ويفسرها بكذا وكذا كما زعمت ؟

نعم فيها وصفٌ يليق بالمتعالمين « الهَرْطُة » وهو الأحمقُ الجبانُ الضعيف ، وفيها « هَرَطَ » إذا أسفَّ فى الكلام وخلط ، كما هو شأن الخلَّاطين !! وانظر المعجم الوسيط .

أما كتابه « **ياقوتة الصراط فى غريب القرآن ومعانيه** » فقد حققه الأخ المشهم الفاضل السيد (بكر أحمد قنطرجى) ونال به درجة « الماجستير »

---

(١) التعالم لبكر أبو زيد ص ١٩ .

بمرتبة ممتاز بجامعة مرمرة باسطنبول ، وبين يدىَّ نسخة منه ، يرى السادة القراء صورة لبعض صفحات هذا الكتاب العظيم ، الذى يزعم مؤلف كتاب « التعالم » أنه كان متعالماً ، يخترع الكذب فى اللغة والدين ، وهكذا لم ينج من لسانه السليط ، مفسرٌ فى القديم والحديث ، والله حسيبُ كل ظالم !.

ترجمة الشيخ المؤلف أبى عمر الزاهِد

وأرى لزاماً علىَّ أن أبيِّن للسادة القراء ترجمة هذا العالم الجليل ، كما جاء فى نسخة مخطوطة رشيد أفندى رقم ٣٤٨/٣ بمدينة اسطنبول التى حققها الأخ التركى المذكور « بكر قنطرجى » وكنت أتمنى أن يحققها « بكر أبو زيد » المنتقص لقدر أهل العلم ، ليعرف قدر الرجل ، ومكانته العلمية ، قبل أن ينال منه بكلماته الرعناء .

جاء فى النسخة المخطوطة ما نصُّه :

مؤلف هذا الكتاب « ياقوتة الصراط فى غريب القرآن ومعانيه » هو الشيخ الإمام الزاهد (أبى عمر محمد بن عبد الواحد) المعروف بغلام ثعلب المتوفى سنة ٣٤٥ هـ وهو أحد الأئمة المكثرين ، صحبَ أبا العباس « ثعلباً » فعُرف به ، واستدرك فصيح شيخه ، جزءاً لطيفاً ، سمَّاه « فائت الفصيح » وشرَحَه ، وشرح الفصيح أيضاً ، وله عدة كتب ألَّفها .

وثَّقه أهل الحديث فى روايته ، وكان يُملى اللغة بغير كتاب ، وضُبط ما أملاه منها عن ظهر قلب ـــ أى من حفظه ـــ **فكان ثلاثين ألف ورقة ، وكان يمتحن ويسأل عن الشىء فيجيب بجواب فيُضبط عنه ، ثم يُسأل**

عنه بعد سنة ، فيجيب بذاك الجواب بعينه ، وكان يؤدب ولد القاضى أبى عمرو محمد بن يوسف ، فأملى عليه كتاب « غريب اللغة » وختمها ببيتين ، فحضر مجلسَ القاضى ، جماعةٌ من أهل الأدب ، آخر ذلك النهار ، فقرأ القاضى عليهم تلك المسائل ، فمنهم من أنكرها ، فسمع الخبر ، فجاء للقاضى والتمس فتح خزانةٍ ، كانت له فيها دواوين شعراء العرب ، فأخذ يخرج تلك المسائل من دواوين الشعراء ، حتى أتى عليها ، ثم قال للقاضى : وأما البيتان فإن ثعلباً أنشدنا إيَّاهما بحضرتك ، وكتبتهما أنت على ظهر الكتاب الفلانى ، فأحضر القاضى الكتاب ، فرأى الأمر على ما قاله ، وله من جنس هذا مع الناس كثير . أقول : وهذا يدل على قوَّة حفظه ، وشدة ذكائه ، لا كما زعم كاتبنا على كذبه واختراعه فى اللغة أموراً ليست منها !!

وقال **عبد الواحد بن برهان** : لم يتكلم أحد من الأولين والآخرين فى اللغة أحسن من أبى عمر الزاهد ، **وله كتاب غريب مسند الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه** ، وتوفى أبو عمر الزاهد غلام ثعلب المذكور سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، ودفن ببغداد قبالة معروف الكرخى ، بينهما عرض الطريق ، وعمره أربع وثمانون سنة رحمه الله(١) .

وقال الخطيب البغدادى : **رأيت جميع شيوخنا يوثقونه ويصدّقونه ، وكان يُسأل عن الشىء فيجيب عنه ، وبعد سنة يجيب بذلك الجواب .**

هذا ما جاء فى سيرة هذا العالم الجليل ، مما يدل على ذكاء خارق ، وعلم واسع ، وقوة ذاكرة وحافظة ، فأين هو الكذب ، الذى رماه به

كاتبنا المتعالم « بكر أبو زيد » ؟ وأين هى تلك القصة المختلقة التى نسبها إليه ؟ وهل هذا الذى ذُكر عنه من سعة الحفظ والإطلاع ، مثالب أم فضائل ؟ يا ويح من افترى على ورثة الأنبياء !.

إنى أنصحك يا سيادة الكاتب ، أن تكفَّ عن هذا البهتان ، وأن تتقى الله فى علماء المسلمين ، وإذا كنت جاهلًا بمكانتهم العلمية ، فابحث وتحرَّ قبل أن تضعهم فى صفوف المتعالمين ، ورحم الله من قال : « والجاهلون لأهل العلم أعداء » !!

صورة عن مخطوطة ياقوتة الصراط فى التفسير .

ياقوتة الصراط

في غريب القرآن

لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد الباوردي المطرز البغدادي

المعروف بغلام ثعلب المتوفى سنة ٣٤٥ هـ.

تحقيق

بكر أحمد قنطرجي

نيله من بعض شيوخ الأزهر

وكما نال كاتبنا من العلماء المتقدمين ، كذلك سلَّط لسانه على بعض شيوخ الأزهر ، بقصة مخترعة أيضاً ، فيقول فى كتابه « التعالم » :

وهذا الشيخ محمد الحلبى وقع له مع أزهرى أن سأله عن « أُصَيْلالًا » فى بيت النابغة :

وقفتُ فيها أُصَيْلالًا أسائلها عيَّتْ جواباً وما بالرَّبْع من أحد

فقال الأزهرى : أَصِيلٌ بفتح الهمزة وكسر الصَّاد ، و« لا » نافية للفعل بعدها .. فقلنا : لا بل « أُصَيْلالًا » كلها كلمةٌ واحدة ، والفعل بعدها مثبتٌ !! فضحك ثم قال : يقول الله ﴿ بكرةً وأصيلًا ﴾ وتقولون : أُصيلالًا ؟.

أقول لسيادة الكاتب : أين هو سند هذه القصة وأين مرجعها ؟ ولماذا لا تذكرها كنكتة ، دون تعريض بشيوخ الأزهر ؟

لماذا تصرُّ على قولك فى هذه القصة المختلقة ، أنها مع أزهرى ، وأن الشيخ الأزهرى قال : كذا ؟ ألتضحك الناس على شيوخ الأزهر ، وقد حملوا مشعل العلم إلى العالم الإسلامى ما يزيد على ألف عام ؟

ولنفرض أن جاهلًا من الجهال ، قال ذلك الكلام الركيك ، الذى يدل على جهل فاضح وغباء ، فلماذا تنسبه إلى شيوخ الأزهر ؟

ورحم الله امرءاً عرف حدَّه ، فوقف عنده ، وسلم الناس من قلمه ولسانه !؟

وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ ولا تَقْفُ ما ليسَ لكَ بــه عِلْـمٌ إنَّ السَّمْعَ ، والبَصَرَ ، والفُؤَاد ، كلُّ أُولـٰئِكَ كَانَ عنهُ مَسْئُولًا ﴾ .

وصمةُ العلماء بالدواب والأنعام

وكاتبنا المفضال في كتابه « التعالم » له كلمات رشيقة رقيقة ، تدل على مقدار حرصه على أدب الحوار ، وتمسكه بأخلاق السلف الصالح ، وكتابه مملوء بأمثال هذه الكلمات الحلوة اللطيفة ، التى يسوقها فى أهل العلم ، وكأنه يخاطب قطيعاً من الدواب ، فيستعمل كلَّ بذيءٍ من الألفاظ ، ليدل على بضاعته الثمينة ، فى هذا المَيْدان ، الذى لا يجاريه فيه أحد ، فى السابق أو اللاحق !

يقول ما نصُّه : « اندلعتْ قضيةُ التعالم فى الوجود ، لا سيما فى صفوف المسلمين .. وهى رمزٌ للعدول عن الصراط المستقيم .. فتجسدت أمامنا أدلة مادية من الخوض فى الشريعة بالباطل .. لذهاب العلماء ، وقعود المتأهلين عن التحمل والبلاغ ، وتولى ألسنتهم وأقلامهم يوم الزحف على كرامته ، **فتبدَّت من وزاء أولاء أمورٌ دوابيّةٌ** . (نسبة إلى الدواب)[1]

(١) ما بين قوسين من كلامى وهو معنى « الدوابية » أى نسبة إلى الدواب والبهائم .

وصدودٌ عن منهاج النبوة والصدِّيقية .. وتجاسرَ فثام على الكذب الصُّراح .. فربضت في قلوبهم الشقوتان : شقوةُ الكذب ، وشقوة الشذوذ .

فبَقُوا الذين إذا يقولوا يكذبوا   ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

فلا بارك الله فى هذا الطراز ، وتباً لهم فما هم بعلماء ، ونعوذ بالله من الفتنة الصماء(١) . أ هـ !

هذا ما قاله فى صفحة (٢١ ، ٢٢) من كتابه التعالم ، لم يكتف بوصمهم بالكذب والافتراء ، والشقوة والبلاء ، ورقة الدين ، ووهن الاستقامة ، كما يجده القارئ في كلماته الوقحة ، بل زاد على ذلك فنسبهم إلى الدواب والأنعام ، وشرُّ الدواب عند الله هم الكفار ، لا أهل العلم ورثة الأنبياء .

ألم يسمع قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إنَّ شَرَّ الدوابِّ عندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فهم لا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ ولكنْ أنَّى له أن يعرف لأهل الفضل فضلهم ، وهو ينتقى فى الحديث عنهم ، أقذع ألفاظ السباب والشتائم !؟

ولقد كرَّر هذه الألفاظ فى صفحات عديدة من كتابه التعالم ، لينبه السادة القُرَّاء على فضله وإبلاسهم ، وعلمه الواسع وإفلاسهم ، فيقول فى صفحة ٢٩ ما نصه . « والمؤمل من كل مبلس ، أزمنه مَرَضُ التعالم ، قد انغمس فيه إلى الأذقان ، وممَّن طرق على مظرقته ، أن يوفِّر على نفسه

---

(١) التعالم ص ٢١ و٢٢ .

جهد القراءة لهذه الرسالة ، ولا يرنو إليها ، لأنها وإيَّاه على طرفَىْ نقيض ..
وإن كانت ستسفُّه حميماً ولهباً ، وترميه فى مهاوى الصغار لَقًى ، فتطؤه
الذلة بمناسمها ، وتضرسه بأنيابها .. فهو حى فى شبحه ، ميّتٌ فى دينه وأدبه
وخلقه ، **ولن يعود إلى آدميته إلَّا ببراءته من تعالمه** .

وفى صفحة (٣٠) يقول : « **يجعلها فى غاية من الهُون والهوان ، والتحطم والتدنى ، ويقذف بها إلى أعماق التبدد والتهرى ، عائشةً فى دائرة الدوابيّة ، والحظيرة البهيمية** ، فيسلم لذى المأرب الدنىء مقصده ، ويعيش نسراً كاسراً على دوابّه ونَعَمه .. »[1] .

أقول : لست أدرى هل كاتبنا « العلامة » يتحدث فى قاعة محاضرات فى إحدى الجامعات ، فيبيِّن أخطاء وهفوات بعض العلماء ، ممن هم — فى نظره — من أهل التعالم ، أم هو يلقى محاضرته القيّمة فى زريبة بهائم ، واسطبل دواب ، حتى ينتقى هذه الألفاظ التى سطَّرها فى كتابه الذى أنار به عقول القراء حين وصفهم بقوله : « **عائشة فى دائرة الدوابيّة ، والحظيرة البهيمية ، يعيش على دوابّه ونَعَمه ؟!**

هل أصبح طلاب العلم دواب وبهائم ؟ أم أن هذا من العبقرية فى البيان !؟

والله إننى لحتارٌ فيما أصف به سيادة الكاتب ؟

هل هو فقيه ؟ فليس هذا من كلام الفقهاء ؟

هل هو أديب ؟ فليس هذا من ظَرْف الأدباء ؟

---

(١) كتاب التعالم صفحة ٢٩ — ٣٠ .

هل هو عاقل ؟ فلا يكتب مثل هذا الكلام رجل عاقل ؟!

إننى أترك تقويمه لأهل العلم والفضل ، ولكننى على يقين ، أن الكثيرين من الناس لا يقرءون كتبه ، لما فيها من التقعر ، والتفيهق ، والغموض ، واختيار وحشيِّ الكلام ، ولهذا لا يعرفون ما فيها من محاسن أو مساوئ ، ونحن نخاطبه بما حكاه هو فى كتابه عن بعض أهل الأدب والشعر :

تمَنَّيتَ أن تُسْمَى فَقِيهاً مُنَاظِراً ... بغَيْرِ عَنَاءٍ والجُنُونُ فُنُونُ
فليسَ اكْتِسَابُ المالِ دونَ مشقَّةٍ ... تَلَقَّيْتَها ، فَالعِلْمُ كَيْفَ يَكُونُ[١] ؟

يا رجل اتَّقِ الله فى المسلمين .. اتَّقِ الله فى إخوانك من أهل العلم .. اتَّقِ الله فيما تخطُّ وتكتب .. لا تشبِّهْ إخوانك المؤمنين بالدواب والأنعام ، ويكفيك شرفاً ما اختصصتَ به من علمٍ ، لا يدانيك فيه أحد ، ومن أدبٍ لا يجاريك فيه أديب ، فكلُّ الناس « متعالمون » وأنت العَلَم الفرقد !!

« غمزه للحافظ ابن حجر صاحب فتح الباري »

حتى الحافظ ابن حجر ، ساقه كاتبنا الأديب فى ضمن المتعالمين ، وسلكه فى زمرة الغالطين ، فقال فى صفحة (١٠١) ما نصُّه :

« ومن غلط الحُفَّاظ على الحُفَّاظ ، أن الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى ، غلط على الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى ، بجواز المتعة

---

(١) كتاب « التعالم » ص ٢٧ .

« متعة النساء » وتابعه الغزى فى مواضع من « الكواكب السائرة »[١] .. إلخ .

أقول : لماذا تحشر الحافظ ابن حجر فى زمرة المتعالمين ؟ وهلَّا تأدبت فى كلامك معه فقلت مثلًا : وقد أشكل على الحافظ ابن حجر الأمر الفلانى ، أو أخطأ الحافظ ابن حجر فى فهم مراد ابن القيم ، وأمثال هذا ، وألا تعدّه فى زمرة المتعالمين ، الذين صببت جام غضبك عليهم ، وأخذت تهزأ منهم بأسلوبك المشين ، وكأنك المعصوم من الخطأ ، المتوَّج بتاج العلم والنبوغ !؟

تطاوله على علماء السلف

لست أدرى بمَ أصف سيادة الكاتب ؟

فهو أحياناً يتقمص ثوب السلف ، فيقول : كن سلفياً على الجادة ، طريق السلف الصالح ، من الصحابة فمن بعدهم ، ممن قفا أثرهم — كما سطَّره فى رسالته « حلية طالبة العلم »[٢] ثم هو يطعن فى علماء السلف ، بدون وعى ولا شعور وهو أحياناً يزعم الفقه ، بل هو شيخ الفقهاء فى هذا العصر ، ثم يجهل أبسط أحكام الفقه !!

استمع إليه وهو يقرِّز هذه الفريدة العلمية فيقول :

---

(١) كتاب « التعالم » صفحة ١٠١ .

(٢) الحلية ص ١٢ للدكتور بكر أبو زيد .

مثاله : « إنَّ من شروط إرث الأم « الثلث » عدم الجمع بين الإخوة والجمعُ اثنان فصاعداً .. » .

أقول : هذا الكلام لا غبار عليه ، ولكنه بعد ذلك يتسرع فى إصدار الأحكام العشوائية ، فينال من ابن عباس ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وغيرهم من أئمة العلماء بدون شعور ، فيقول فى كتابه التعالم « فتجد من يذهب إلى ذلك ، يُنظِّر له بعدة مسائل منها : أنه قيل فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وليشهد عذابهما طائفةٌ من المؤمنين ﴾ **الطائفةُ : اثنان فصاعداً ، بينما إذا أتى إلى بيان هذا فى محله رفض ذلك ، لأنه لا يحصل به حكمة الشرع من الزجر والردع** . أ هـ كلام الفقيه المتعالم .

الجواب : إن هذا الكلام جهلٌ منه بأقوال العلماء والفقهاء جميعاً ، بل عدوان على علماء السلف ، فالذين قالوا : إن الطائفة اثنان فصاعداً ، ليسوا من المتعالمين ، كما صوَّرهم سيادة الكاتب ، وإنما هم أئمة علماء السلف وعلماء التفسير ، كما حكاه الطبرى والحافظ ابن كثير عنهم ، وفيهم طائفة من أئمة علماء اللغة والدين ، فكيف يطعن الإنسان بهم جميعاً ويتعالم عليهم ؟

قال الحافظ ابن كثير فى قوله تعالى : ﴿ ولْيشهدْ عذابَهُما طائفةٌ من المؤمنين ﴾ .

قال ابن عباس : الطائفةُ الرجلُ فما فوقه .

وقال مجاهد : الطائفةُ الرجل الواحد إلى الألف .

وقال عكرمة مثله ، ولهذا قال أحمد : إن الطائفة تصدق على واحد .
وقال عطاء بن أبي رباح : اثنان ، وبه قال اسحاق بن راهويه .
وقال سعيد بن جبير : ﴿ طائفة من المؤمنين ﴾ رجلين فصاعداً .
وقال الزهرى : ثلاثة نفر فصاعداً .
وروى عن الإمام مالك : أربعة نفر فصاعداً وبه قال الشافعى[1] .

هذا ما نقله الحافظ ابن كثير عن أئمة علماء السلف ، فكيف يجعلهم صاحبنا الكاتب من المتعالمين المنظّرين للمسائل ، بغير فهم ولا دراية ؟ أما يستحى الواحد أن ينكشف جهله ، ويفتضح أمره ، وهو يخبط فى كلامه خبط عشواء ، ولا يدرى أقوال علماء السلف ، ولا أقوال أهل اللغة أيضاً !!

واسمع ما قاله ابن منظور فى لسان العرب : « والطائفةُ من الشىء : جزءٌ منه ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ وليشهدْ عذابَهما طائفةٌ من المؤمنين ﴾ الطائفةُ الرجل الواحد إلى الألف ، وقيل : الرجل الواحد فما فوقه ، وفى الحديث « لا تزال طائفة من أمتى على الحقّ » الطائفةُ : الجماعةُ من الناس وتقع على الواحد .. »[2]

هذا ما قاله أهل اللغة أيضاً كما فى الصحاح للجوهرى ، والقاموس المحيط .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٧٢/٣ .
(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهرى مادة طوف .

فمن هو « المتعالم » أهم علماء السلف ، أم سيادة الكاتب ؟
والكاتب لا يخجل أن يذكر فى عطف كتابه هذه الكلمة التى سجلها بنفسه وهى :

« نصحية المتعالم ممن يدَّعى العلم وليس بعالم ، فى الفتيا ، والقضاء والتحقيق ، والتأليف ، والتصدر قبل النضوج .. » إلى آخره .

سبحان من أنطقه بالشهادة على نفسه بالتعالم ، والتصدر للفتوى قبل النضوج ، وهو يصدر هذه الأحكام العشوائية دون تهيب ولا تثبُّت ، ليظهر فضله على المتعالمين ، وعليه يصدق المثل العربى « رمتنى بدائها وانسلَّتْ » !!

تطاوله على الشيخ أبى الحسن الندوى

وقد بلغت ذروة الفصاحة والبيان ، والسجع المرصَّع كسجع الكهان ، فى كلامه عن شيخ من كبار شيوخ العالم الإسلامى ، العلامة الشيخ « أبو الحسن الندوى » المشهود له بين جميع العلماء والمسلمين ، بالعلم والفضل ، والتقى والصلاح ، يقول عنه فى كتاب التعالم :

« ومن أشنع الأغاليط ، فى أعقاب الأكاذيب ، أن خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية ، قالوا عنه ما لم يقله من منع زيارة قبر النبى ﷺ .. وكان من آخر من رأيناه غلط فى تقرير ذلك الشيخ « أبو الحسن الندوى »

فى ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[1] . . . » إلخ .

أقول : بئس هذا السجع السَّمِج « أشنعُ الأغاليط فى أعقاب الأكاذيب » الذى هو بحق نموذج لسجع الكهان ، لأنه ركيك فى لفظه ومعناه ، ولماذا تنتقى هذه العبارات القبيحة الشنيعة ، فى حق شيخ من كبار رجالات الإسلام ؟ كلُّ الناس فى نظرك متعالمون ؟ وهلَّا تأدبت فى كلامك بأدب علماء السلف ؟

هل كذب الشيخ أبو الحسن على ابن تيمية حتى تصفه بمثل هذه الكلمات النابية ؟ إن ابن تيمية رحمه الله منع من شدِّ الرحال إلى زيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام ، وأباحه إلى زيارة المسجد ، استدلالًا بحديث « لا تُشدُّ الرحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجد .. » الحديث ، وهذا الذى حكاه عنه علامة العصر « الشيخ أبو الحسن الندوى » فلماذا التجنى على الشيخ بمثل هذه الألفاظ البذيئة ؟ ولنفرض أن الشيخ أخطأ فى فهم مراد ابن تيمية ، فهل يكون جوابه بهذا الأسلوب الشنيع ؟ وليس لنا هنا إلَّا أن نكرِّر على مسامع الكاتب مقالة أديب البيان « الرافعى » : « أيتها الحصاةُ .. لا يسخرُ منكِ الساخرُ ، بأكثر من أن يجلوك دُرَّة مضيئةً أمام أنظار الجاهلين !! » ..

وإنها لحكمة بليغة ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

---

(١) كتاب « التعالم » صفحة ١٠١ .

تناقضات عجيبة فى رسائل أبى زيد

ومن أعجب العجب أن يخرج لنا الكاتب « بكر أبو زيد » رسالة ينحى فيها باللائمة على من يقع فى العلماء ، وينتقص من قدرهم ومكانتهم ، بعنوان « براءة أهل السنة من الوقيعة فى علماء الأمة » ويخرج رسالة أخرى تحمل عنوان « حلية طالب العلم » ثم يتناقض تناقضاً عجيباً بين ما كتبه عن العلماء ، وبين ما ألَّفه فى النصح والتذكير ، ليرى الإنسان الفارق الكبير بين مؤلفاته الرائعة المتناقضة !!

ولنستمع إليه وهو يقول فى « حلية طالب العلم » تحت عنوان « التحلّى بالرفق » : التزمْ الرفق فى القول ، مجتنباً الكلمة الجافية ، فإن الخطاب الليِّن يتألف النفوس الناشزة ، وأدلة الكتاب والسنة فى هذا متكاثرة ..»(١) انتهى .

هذا ما نصح به الكاتب طلاب العلم ، أن يترفقوا فى ألفاظهم ، ويجتنبوا الكلام الجافى .

أقول : هلَّا طبقت هذا فى تعاملك مع الناس يا أخى !؟

هلَّا أحسنت الظنَّ بإخوانك ، وتأدبت معهم فى كلامك ، أم أن هذا لمجرد النصح والتذكير ؟ وتصدير السلعة العلمية دون التحلى بآدابها ؟

(١) حلية طالب العلم لبكر أبى زيد ص ٢٣ .

وكتبتَ !؟

ومن تناقضه أيضاً ما ذكره فى كتابه الحلية عن سيرة السلف الصالح ، من ترك المماراة والمجادلة ، والطعن فى أعراض الناس ، والحقد ، والحسد ، وسوء الظن ، ثم هو يقع فيها بأشدَّ ممَّا حذَّر منه .!

يقول فى الحلية ص ٨٤ : « وهديُ السلف : الكفُّ عن كثرة الخصام والجدال ، وأن التوسع فيه من قلة الورع .. » ثم يسدى النصيحة لطلاب العلم فيقول : « فيا طالب العلم بارك الله فيك وفى علمك ، اطلب العلم ، واطلب العمل ، وادع الله تعالى على طريقة السلف .. ولا تكن خرَّاجاً ولَّاجاً فى الجماعات ، فتخرج من السَّعة إلى القوالب الضيقة ، فالإسلام كله لك جادةً ومنهجاً .. »(١) .

هكذا وردت فى كتابه بالنصب « جادةً ومنهجاً » وهو خطأ لغوى وينبغي أن يقول : جادةٌ ومنهجٌ بالرفع لأنها خبر المبتدأ .

ثم يقول فى صفحة (٨٨) من كتابه الحلية تحت عنوان : نواقض هذه الحلية : « يا أخى ! وقانا الله وإياك العثرات ، إن كنت قرأت مُثُلًا من « حلية طالب العلم » وآدابه ، وعلمتَ بعضاً من نواقضها ، فاعلم أن من أعظم خوارمها ، المفسدةِ لنظام عقدها : إفشاء السر ، والصَّلفُ واللسانة .، والحقدُ ، والحسدُ ، وسوءِ الظن .. ومجالسة المبتدعة ، ونقلُ الخطأ إلى المحارم ـــ أى إلى ما حرَّم الله ـــ فاحذر هذه الآثام وأخواتها ،

---

(١) حلية طالب العلم ص ٨٤ .

واقصر خطاك عن جميع المحرمات والمحارم ، فإن فعلتَ ، وإلَّا فاعلم أنك رقيق الديانة ، خفيفٌ لعَّاب ، نمَّام مغتاب ، فأنَّى لك أن تكون طالب علم ، يُشار إليك بالبنان ، منعَّماً بالعلم والعمل[١] » !؟ أ هـ .

هذا نصُّ كلامه فى كتابه الحلية ، الذى هو بحقّ نصحٌ وإرشاد ، وصوابٌ وسداد ، ولكن هل تقيَّد بهذه النصائح والفوائد التى قدَّمها لطلاب العلم ؟ أتَركَ الصَّلف واللسانة ، والحقد والحسد ، والجراءة على عباد الله بالزور والبهتان ؟ أم أنه يكتب لمجرد التظاهر بالعلم والأدب ؟!

ما سطره فى رسالة التحذير

ولنستمع إلى جواهره الثمينة ، ودرره الفريدة ، فى رسالته التى أسماها « التحذير » ليتضح لنا التناقض العجيب فيما يكتب ويؤلف ، حيث يقول ما نصُّه :

« ولا نعرف على مدى التاريخ ، من احترف التلبيس ، فسطا على تفسيرى ابن جرير ، وابن كثير ، فنصب فى سطورهما باسم الاختصار ، عوامل التحريف والتبديل ، قبل هذا العمل الذى أثار الرهج ، وآذى المهج[١] .. » إلخ .

هذا بعضٌ من أدب الخطاب والمناظرة الذى تحلَّى به كاتبنا « بكر أبو زيد » فأين هو السطو ؟ وأين هو التلبيس ؟ يقول لك : انظر تنبيهات ، و« تعقيبات » والسلسلة الصحيحة ، والسلسلة الضعيفة ، وتنبيهات

---

(١) المرجع نفسه ص ٨٨ .　　(٢) رسالة التحذير لبكر أبو زيد ص ٢٨ .

هامة ؟ ويبنى أوهاماً ، وينصب أعلاماً ، لدك الحصون دون أن ينبه إلى موطن الخطأ الذى رآه ، أو عثر عليه فى انتقاده وبيانه .!!

أهذه هى الحلية التى أوصى بها طالب العلم فى رسالته الألمعية ؟ أم هى العبقرية الفذَّة التى انفرد بها كاتبنا ، وادَّعى أن الحقَّ معه لا يتعداه إلى غيره — كما زعم كما قال — « ومن كان الحق معه فلن يُغلب أبداً بإذن الله » !

تشبيه العلماء بالرهبان

وإمعاناً من الكاتب فى العدوان على إخوانه أهل العلم ، يشبههم بالرهبان الذين يقبعون فى الصوامع ، يفتنون الناس عن دينهم ، فلا بدَّ من هدم هذه الصوامع على رءوسهم ، ولهذا يقول فى رسالته « الرقابة على التراث » ما نصُّه :

« وما هذا التداعى على التراث بالتحريف والتشويه والتفريغ .. إلا أساسُ دسائس الكافرين ، لتحريف هذا الدين والصدِّ عنه ، وتفريق أهله ، وتفجير الصراع بينهم .. وإن كان فى الحال مُكنة فسوف « **نهدمُ الصَّومعةَ على الراهب** » بإذن الله ، **لأن الإسلام لا يُعيذ عابثاً غير عابئ بتراثه ، مقارضين هؤلاء الجُناة ، الحديث صراحةً بصراحةٍ ، بمؤلف مفردٍ ينتظم ما يتم الوقوف عليه ، من وجود العبث بالتراث ، ورأسُ مالنا فى المقارضة هو الحقُّ ، ومن كان الحق معه فلن يُغلب بإذن الله تعالى** » ..

ثم قال :

وقد منَّ الله تعالى عليَّ ، وهو المانُّ وحده ، بطلائع لهذا المشروع منها :

١ ــ التعالم وأثره على الفكر والكتاب .

٢ ــ براءة أهل السنة من الوقوع في علماء الأمة .

٣ ــ التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير .

٤ ــ تحريف النصوص من أدلة أهل الأهواء .

٥ ــ الرقابة على التراث ، وهو قيدُ نظرك[1] . انتهى .

هذه كتبه ، وهذه مؤلفاته ، وهذه ألفاظه وتعبيراته ، يريد أن يدك الحصون ، ويهدم الصوامع على الرهبان .. ومن هم الرهبان في نظره ؟ إنهم إخوته في العقيدة والدين ، وأوضحُ برهانٍ على ذلك أنه حشر كتاب « التعالم » الذي ألَّفه للطعن في إخوانه المسلمين ، وحشر كتابه الآخر « التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير » ضمن طلائع مشروعه الضخم ، في هدم صوامع الرهبان !

ولستُ أدري كيف يستبيح لنفسه هذه الحملة الظالمة ، ويشبِّه إخوانه المؤمنين بالرهبان ، والرهبانُ هم أحبار النصارى الذين عبدوا المسيح !؟

وفي مكانٍ آخر يشبّه العلماء وأساتذة المدارس بالأطفال والصبيان الذين يقهقهون على كراسي التعليم ، ويكذبون على الدين ، فيقول في كتابه التعالم ما نصُّه : « ومنها أغيلمة أخذوا **يقهقهون على كراسي التعليم** ،

(١) الرقابة على التراث لبكر أبو زيد ص ٢٣ .

بغرائب يبدونها أو يبتدئون اختراعها ، فشغلوا أهل العلم بصدّها ، **امتطوا بيداء الكذب** ، وهي قاع صفصف لا تنتهي أطرافها ، وسالكها لا يبرح مكانه ، ظنَّ المسكينَ أنه قد ركب نفسه ، فسارت به إلى ساحة العلم ورياضه ، لكنَّ واقع حاله أنَّ نفسه قد ركبته ونازعته ، فكلما أراد أن يسير إلى الأمام خطوة ، جرَّته إلى الوراء خطوات ، **فأضحى في رائعة النهار** ، عُرْياً عن الفضائل ، **واضمحلَّ بين الملا كضرطة عير في العراء ؟** »(١)

يا سلام على هذا الأدب السامي الرفيع!! الذي تحلَّى به كاتبنا الألمعي « بكر أبو زيد » فعنده من التشبيهات والبدائع ، ما عجز عنه أكابر الأدباء ، كالمنفلوطي ، والرافعي ، والزيات ، وجميع أدباء العصر ، وما أبدع هذا التشبيه للأساتذة والمدرسين ، الذين تعرَّوا في نظره عن الفضائل ، وتلاشوا بين الأمم ، كضرطة عير في العراء !؟ ولا غرابة فهذه بضاعته الحَدَثُ ومشتقاته !!.

وباختصار فإن الإنسان لا يرى في رسائله التي يعدّها « مؤلفات » إلا القذائف بأنواع الشتائم والألفاظ النابية ، وكأنه يدك حصون الأعداء بمدافع « الهاون » أو بالصواريخ الراجمة بحجة تحريف النصوص !!

وهذه كل جهوده في خدمة العلم ورفع مناره !!

---

(١) انظر كتاب التعالم صفحة ٤٩ — ٥٠

من هو المحرِّف للنصوص يا دكتور ؟

والآن نحب أن نسأل الكاتب العالم من هو المحرّف للنصوص ؟ أهو الشخص الذى يرمى الناس بغير بيِّنة ، أم الشخص الذى ينقل النص كما ورد فى الأصل دون تحويرٍ أو تزوير ؟

إن الشخص الذى لا يتثبت من القول ، يكون هو المحرِّف والمزوِّر ، فالله تبارك وتعالى يأمرنا بالتَّثبت وعدم التسرع : ﴿ إنْ جاءكُمْ فَاسِقٌ بنبأٍ فتبيَّنوا أَنْ تُصِيبوا قَوْمَاً بجَهَالةٍ فتصبِحُوا على مَا فَعلْتُم نَادِمينَ ﴾ وهذا ما وقع به كاتبنا الفاضل ، حين نقلَ أقوالًا حكاها عن غيره ، دون أن يكلف نفسه عناء الرجوع إلى المصادر التى نقلنا منها ، واكتفى بالإحالة على من تحدَّث عن بعض الكتب منتقداً لها ، وسأضرب بعض الأمثلة على تجنى الدكتور « بكر أبو زيد » على العلم وأهله ، مع تصوير النصِّ الذى نقلته من الكتاب بالرقم والصفحة ، ليتضح للسادة القراء من هو الجانى !.

التحريف الأول فى نظر الكاتب

زعم سيادة الكاتب أننى حرفت معنى استواء الله تعالى وعلوه على خلقه سبحانه فى آيات من كتابه الكريم ١/٤٦ ـــ ٢/٧٦ قال : وفى كشفها تعقيبات ص ٩ وتنبيهات ص ١١٤ .. وهكذا عادة الكاتب يحيلك إلى ما كتب غيره ، ويعتبره تحريفاً للنص ، ولا يرجع إلى ما كتبه المؤلف ليرد عليه بالحجة والبرهان ، وهذا ـــ فى نظره ـــ هو العلمُ ، وهو التحقيقُ ، وهو الردُّ الفاصل الذى يقصم ظهر الخصم ، وهذا مبلغ علمه !!

والجواب : أن الكاتب لو رجع إلى كتابى « صفوة التفاسير » فقرأه بنزاهة وتجرد ، لعرف وجه الحق ، دون أن يخبط فى كلامه خبط عشواء ، ويتهم الناس بالتحريف للنصوص ، وهو الواهم الخاطئ !! .

ومن أين للكاتب المتعالم أن يفهم كلام العالم !! .

وإلى السادة القراء أسوق نصَّ الكلام فى كتابى الصفوة ، ثم أعقبه بقول بعض علماء السلف ، وأئمة علماء التفسير ، حول آية الاستواء التى اعترض عليها . قولهُ تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوىٰ إلىَ السَّماءِ فَسَوَّاهنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ وَهُوَ بكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

قلت : أى قصد إلى خلق السموات فسواهنَّ سبعاً ، فخلقها ، وأحكمها ، وأتقنها .. والاستواءُ فى القرآن الكريم ورد على ثلاثة معانٍ :

جـ- تحريفه لمعنى استواء الله تعالى وعلوه على خلقه سبحانه. في آيات من كتابه الكريم.
صفوة التفاسير: ١/٤٦، ١٦٢، ٢/٧٦.
وفي كشفها: تعقيبات ص/٩، وتنبيهات ص/١١٤.
د - تحريفه لمعنى صفة السمع في قول الله تعالى: ﴿قد سمع الله﴾ الآية..
الصفوة: ٣/٣٣٥.
وفي كشفها: تعقيبات ص/٢٤.
هـ- تحريفه لتفسير قول الله تعالى: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ وقوله تعالى: ﴿خلقت بيدي﴾ في نظائر لهما.
الصفوة: ٣/٦٥، ٨٧.
ولكشفها: تعقيبات ص/١٨، ١٩٠، وتنبيهات ص/١١٥، ١١٩.
و- تحريفه لمعنى صفة التعجب لله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿أنى يؤفكون﴾ في نظائر لها.
الصفوة: ١/٣٤٥، ٥٣١.
وفي كشفها: تعقيبات ص/٦، ٧.
ز- تحريفه لتفسير قول الله تعالى: ﴿ولا يكلمهم الله﴾..
في نظائر لها من الآيات المثبتة صفة الكلام لله سبحانه.
الصفوة: ١/٢١٣ - ٢/٢٠٨ - ٣/١١٠، ١١٧، ٢٢١.
وفي كشفها: تعقيبات ص/٤، ١٩، تنبيهات ص/١١٣، ١١٨.

* صرح بعدم أقواله في كتابه التحذير

إلى الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء الآجال ﴿ثم يحييكم﴾ بالبعث من القبور ﴿ثم إليه ترجعون﴾ للحساب والجزاء يوم النشور. ثم ذكر تعالى برهاناً على البعث فقال ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ أي خلق لكم الأرض وما فيها لتنتفعوا بكل ما فيها، وتعتبروا بأن الله هو الخالق الرازق ﴿ثم استوى إلى السّماء﴾ أي قصد إلى خلق السموات فسواهن سبعاً، فخلقها وأحكمها وأتقنها، والاستواء في القرآن الكريم ورد على ثلاثة معان: الأول: بمعنى الكمال والتمام كما في قوله تعالى عن موسى ﴿ولما بلغ أشدّه واستوى...﴾ فهي هنا لا تُعدّى بالحرف. والثاني: بمعنى علا وارتفع، وذلك إذا عُدّيت بـ (على) كقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقوله تعالى: ﴿لتستووا على ظهوره﴾. والثالث: تكون بمعنى القصد إذا عُدّيت بـ (إلى) كما في هذه الآية، قال ابن كثير: والاستواء ها هنا متضمن معنى القصد والإقبال لأنه عُدّي بإلى (المعنى) قصد إلى السماء..[1]. ﴿فسواهن سبع سموات﴾ أي صيّرهن وقضاهن سبع سموات محكمة البناء وذلك دليل القدرة الباهرة ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ أي وهو عالم بكل ما خلق وذرأ، أفلا تعتبرون بأن القادر على خلق ذلك - وهي أعظم منكم - قادر على إعادتكم؟! بلى إنه على كل شيء قدير.

البلاغة: ١ - قوله ﴿لا يستحيي﴾ من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، المعنى: لا يترك فعبّر بالحياء عن الترك، لأن الترك من ثمرات الحياء، ومن استحيا من فعل شيء تركه[2].

٢ - قوله ﴿ينقضون عهد الله﴾ فيه (استعارة مكنية) حيث شبه العهد بالحبل، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو النقض على سبيل الاستعارة المكنية.

٣ - قوله ﴿كيف تكفرون بالله﴾ هو من باب (الالتفات) للتوبيخ والتقريع، فقد كان الكلام بصيغة الغيبة ثم التفت فخاطبهم بصيغة الحضور، وهو ضرب من ضروب البديع.

٤ - قوله ﴿عليم﴾ من صيغ المبالغة، ومعناه الواسع العلم الذي أحاط علمه بجميع الأشياء، قال أبو حيان: وصف تعالى نفسه بـ (عالم وعليم وعلام) وهذان للمبالغة، وقد أدخلت العرب الهاء لتأكيد المبالغة في (علاّمة) ولا يجوز وصفه به تعالى[3].

الفوائد: الأولى: قال الزمخشري: التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا أمراً تستدعيه حال المتمثَّل له، ألا ترى إلى الحق لما كان أبلج واضحاً جلياً، كيف تمثَّل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثّل له بالظلمة؟ ولما كان حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله تعالى ليس أحقر منها وأقل، لذلك ضرب لها المثل ببيت العنكبوت في الضعف والوهن ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾ وجعلت أقل من الذباب وأخس قدراً ﴿لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه﴾ والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور، والحشرات والهوام، وهذه أمثال العرب بين أيديهم سائرة في حواضرهم وبواديهم[4]..

الثانية: قدّم الإضلال على الهداية ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾ ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمراً فظيعاً يسوءهم ويفتّ في أعضادهم، وأوثرت صيغة الاستقبال إيذاناً بالتجدد والاستمرار، أفاده العلامة أبو السعود[5].

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦١ (٢) أفاده الزمخشري. (٣) البحر المحيط ج ١ ص ١٣٦. (٤) الكشاف ج ١ ص ٨٣. (٥) إرشاد العقل السليم ج ١ ص ٦٠.

صفوة التفاسير

الأول : بمعنى الكمال والتمام كما فى قوله تعالى عن موسى : ﴿ ولمَّا بلغ أَشُدَّه واستوى ﴾ فهى هنا لا تُعدَّى بالحرف[1] .

الثانى : بمعنى علا وارتفع ، وذلك إذا عُديت بـ « على » كقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لِتَسْتَوُوا على ظهوره ﴾ .

الثالث : تكون بمعنى القصد إذا عُدّيت بـ « إلى » كما فى هذه الآية ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ أى صيَّرهنَّ وقضاهنَّ سبعَ سموات ، محكمة البناء ، وذلك دليل القدرة الباهرة ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أى وهو عالمٌ بكل ما خلق وما ذرأ ، أفلا تعتبرون بأن القادر على خلق السموات — وهى أعظم منكم — قادرٌ على إعادتكم ؟ بلى إنه على كل شىء قدير[2] .

هذا نصُّ كلامى فى صفوة التفاسير ، وهو متفق تمام الاتفاق مع كلام جهابذة المفسرين ، وعلماء السلف ، وإليك نص الحافظ ابن كثير .

تفسير الحافظ ابن كثير للآية

قال ابن كثير رحمه الله : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ أى قصد إلى السماء ، والاستواءُ ههنا مضمَّنٌ معنى القصد والإقبال ، لأنه عُدّى بـ « إلى » وقولُه ﴿ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ أى فخلق السماء سبعاً ، والسماءُ ههنا اسم جنس فلهذا قال ﴿ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وهُو بِكُلِّ

---

(١) أى ليست كآية ﴿ استوى إلى السماء ﴾ وآية ﴿ استوى على العرش ﴾ المتعدية بحرف الجر ، فالمعانى فى الآيات مختلفة الدلالات .

(٢) صفوة التفاسير ١/٤٦ .

شيءٍ عَلِيمٌ ﴾ أى وعلمه محيط بجميع ما خلق »[1] أهـ .

هذا ما قاله الحافظ ابن كثير ، ونقلته فى تفسيرى عنه وعن العلماء الأعلام ، فأين هو التحريف للنصوص ؟ وأين هو الخلطُ والتلبيس ، حتى يقول سيادة الكاتب — دون أن يبذل أى عناء — : حرَّف معنى الاستواء ؟ ثم يقول : انظر التعقيبات ، والتنبيهات ؟ وهذا شأنه فى طريقته ، وهو من أعجب العجيب ، بل هو من العبقرية التى اختصَّ بها الدكتور !!

هل يعلم الكاتب ماذا فى « التنبيهات » من جهالة ، ورمي لعلماء التفسير بالضلالة والابتداع فى الدين ، وكاتبها هو الغافل الجاهل ؟

لقد شبَّه صاحب التنبيهات « الألمعية » المفسرين باليهود الذين حرَّفوا كلام الله ، واعتبره كاتبنا صاحب كتاب « التعالم » و« التحذير من مختصرات الصابونى فى التفسير » نصراً ساحقاً ، وفوزاً مبيناً ، وحتى يتّضح الأمر ويتجلى ، أنقل كلام صاحب التنبيهات وما عاب به المفسرين ، حتى يعلم طلبة العلم ، خطر الخوض فى أمور الدين بدون علم .

قال : ذكر الصابونى جـ ١١٧/٣ ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ أى عمد إلى خلقها وقصد .. وهذا التأويل لمعنى « استوى » — فى نظره — باطل ، واستدل بما رواه البخارى عن أبى العالية : « استوى » : ارتفع ، وقال مجاهد : « استوى » : علا على العرش .

ثم قال : ذهب بعضُ المفسرين من الأشاعرة وغيرهم إلى تأويل

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٧١.

﴿ استوى ﴾ بمعنى استولى ، وهذا خطأ كبير نبَّه عليه العلماء ـ واسمعوا هنا العجب العجاب ـ حيث يقول : لقد أمر الله اليهود أن يقولوا « حِطَّةٌ » فقالوا : حنطة ، تحريفاً لكلام الله ، فانظر ما أشبه لامهم التى زادوها بنون اليهود التى زادوها[1] . أ هـ من التنبيهات .

أقول : أعوذ بالله من هذا الجهل الفاضح ، والتطاول على أئمة علماء التفسير ، فأنا نقلت عن الحافظ ابن كثير ـ وهو عالم سلفى ـ تفسير آية البقرة ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ بأن المعنى : قصد إلى خلق السماء ، وكلام ابن كثير واضح وصريح فإنه قال : أى قصد إلى السماء ، والاستواءُ ههنا متضمن معنى القصد والإقبال لأنه عُدِّى بإلى[2] ، فكلامى هو نص كلام ابن كثير ، ولكنَّ صاحب التنبيهات « محمد زينو » لا يفرِّق بين النصوص ، ولا يميز بين الأساليب العربية ، ولذلك خلط بين آية « ثم استوى إلى السماء » وآية « ثم استوى على العرش » ، والبخارى إنما يفسِّر آية الأعراف ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ بدليل قول مجاهد . أى علا على العرش ، فأين نحن من آية البقرة التى فسَّرها ابن كثير بمعنى قصد إلى السماء ، من آية الأعراف التى هى بمعنى العلو والارتفاع على العرش ؟

ولكنَّ صاحب التنبيهات أراد أن يوضِّح بثاقب نظره أن ﴿ استوى إلى السماء ﴾ مثل ﴿ استوى على العرش ﴾ هذه « استوى » وتلك « استوى »

---

(١) تنبيهات هامة لمحمد زينو ص ٧٦ ـ ٧٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٧١/١ .

ولا فرق عنده بين الدُرّ والبُرّ، ولا بين الحَمَل والجَمَل، ولهذا السبب شبَّه المفسرين باليهود، الذين أُمروا أن يقولوا ﴿ حِطَّة ﴾ — وهي كلمة دعاء واستغفار بمعنى حطَّ عنا ذنوبنا — فسخروا واستهزءوا بأوامر الله وقالوا : حنطة .

أما يستحي الواحد منَّا من مثل هذا الجهل الفاضح، والتشبيه المشين لأئمة علماء المفسرين ؟ وأن يخجل من الخبط والخلط الذي وقع فيه صاحب التنبيهات، ثم جاء خَلَفُه « بكر أبو زيد » صاحب كتاب « التعالم » فاعتمد على كلامه وادّعى التحريف لمعنى الاستواء، وكلاهما في تشويه الحقائق سواء ؟ وإن كان يقصد (أبو زيد) آية الأعراف وأني حرّفت معناها فليستمع إلى ما قلته في الصفوة بالحرف الواحد :

تفسيري لآية ﴿ استوى على العرش ﴾ في الصفوة

قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ : أي استواءً يليق بجلاله، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تحريف، كما هو مذهب السلف وكما قال الإمام مالك رحمه الله : « الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة .

وقال الإمام أحمد : أخبارُ الصفات تُمرُّ كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل، فلا يُقال : كيف ؟ ولِمَ ؟ نؤمن أن الله على العرش كيف شاء، وكما شاء، بلا حدٍّ ولا صفة يبلغها واصف، أو يحدُّها حادٌّ، نقرأ الآية

والخبر، ونؤمن بما فيهما، ونكِلُ الكيفية فى الصفات إلى علم الله عزَّ وجلَّ.

وقال القرطبى : لم ينكر أحدٌ من السلف الصالح، أنه استوى على عرشه حقيقةً، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلمُ حقيقتُه[1]. أ هـ.

هذا هو نصُّ الكلام الذى ذكرته فى كتابى « صفوة التفاسير » فأين هو التحريف لمعنى استواء الله عز وجل الذى ذكرته فى رسالتك « التحذير من مختصرات الصابونى فى التفسير » ؟ أم أنك لا تقرأ، ولا تدرى شيئاً عن الموضوع، وتعتمد فى رسائلك على ما كتبه (محمد زينو) الذى لا يفرِّق بين آية « استوى إلى السماء » و« استوى على العرش » ؟

فأين هى الأمانة التى تدعو طالب العلم إلى التحلى بها، وأنت تخالفها فى بيانك ومقالك ؟

أكلامك الذى نسبته إلىَّ من الأمانة، أم هو للعلم والدين خيانة ؟

وهل عرفت من هو المحرِّف للنصوص، أهو الشيخ الصابونى، أم بكر أبو زيد ؟

وصدق رسول الله ﷺ حين قال : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت ».!!

* * *

---

(١) صفوة التفاسير ١/٤٥٠ للصابونى .

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا

التفسير : ﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾ أي ولقد جئنا أهل مكة بكتاب هو القرآن العظيم ﴿فصَّلناه على علم﴾ أي بيَّنا معانيه ووضحنا أحكامه على علم منا حتى جاء قيماً غير ذي عوج ﴿هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ أي هداية ورحمة وسعادة لمن آمن به ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ أي ما ينتظر أهل مكة إلا عاقبة ما وُعدوا به من العذاب والنكال قال قتادة : تأويله عاقبته ﴿يوم يأتي تأويله﴾ هو يوم القيامة ﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾ أي يقول الذين ضيّعوا وتركوا العمل به في الدنيا ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ أي جاءتنا الرسل بالأخبار الصادقة وتحقق لنا صدقهم فلم نؤمن بهم ولم نتبعهم قال الطبري : أقسم المساكين حين حلَّ بهم العقاب أن رسل الله قد بلَّغتهم الرسالة ونصحتْ لهم وصدَّقتهم حين لا ينفعهم ولا ينجيهم من سخط الله كثرةُ القيل والقال[1] ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ أي هل لنا اليوم شفيع يخلصنا من هذا العذاب ؟ استفهام فيه معنى التمني ﴿أو نردُّ فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ أو هل لنا من عودة إلى الدنيا لنعمل صالحاً غير ما كنا نعمله من المعاصي وقبيح الأعمال ؟ قال تعالى ردّاً عليهم ﴿قد خسروا أنفسهم وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي خسروا أنفسهم حيث ابتاعوا الخسيس الفاني من الدنيا بالنفيس الباقي من الآخرة ، وبطل عنهم ما كانوا يزعمونه من شفاعة الآلهة والأصنام ، ثم ذكر تعالى دلائل القدرة والوحدانية فقال ﴿إنَّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ أي إن معبودكم وخالقكم الذي تعبدونه هو المنفردُ بقدرة الإيجاد الذي خلق السموات والأرض في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا قال القرطبي : لو أراد لخلقها في لحظة ولكنه أراد أن يعلِّم العبادَ التثبتَ في الأمور[2] ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي استواءً يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف كما هو مذهب السلف وكما قال الإمام مالك رحمه الله : الاستواء معلوم ، والكيفُ مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وقال الإمام أحمد رحمه الله : أخبارُ الصفات تمرُّ كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل فلا يقال : كيف ؟ ولِمَ ؟ نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء ، وكما شاء بلا حدٍّ ولا صفةٍ يبلغها واصف أو يحدها حادٌّ ، نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ونكِلُ الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل[3] وقال القرطبي : لم ينكر أحدٌ من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقةً وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تُعلم حقيقته[4] ﴿يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾ أي يغطي الليل على النهار فيذهب بضوئه ويطلبه سريعاً حتى يدركه ﴿والشمسَ والقمرَ والنجومَ

(١) الطبري ١٢/ ٤٨٠ . (٢) القرطبي ٧/ ٢١٩ . (٣) محاسن التأويل ٧/ ٢٧٠٨ . (٤) القرطبي ٧/ ٢١٩ .

الورقة مصوَّرة من كتاب صفوة التفاسير

خطأ فاحش فى فهم النصّ الفقهى

وكما زعم الكاتب أنني حرَّفتُ آية الاستواء، كذلك زعم أننى حرفت كلمة « ليلة » إلى كلمة « ركعة » فى كتابى : الهدى النبوى الصحيح فى صلاة التراويح، وأن النصَّ « كان يصلى بهم عشرين ليلة » فجعلتها عشرين ركعة، وقال : إن هذا من التحريف للكلام .. إلخ .

أقول : ما أظلمك لعباد الله، وما أجرأك على تحوير الكلام، بغير تثبت ولا تحقق، ومن غير رادع من أمانةٍ أو دين !؟

ولى على كلامه ملاحظتان :

الملاحظة الأولى : أنه كتب هذا الكلام فى رسالته المسمَّاة « التحذير من مختصرات الصابونى فى التفسير » فما هو دخل صلاة التراويح فى موضوع التفسير ؟ ولماذا يقحم كاتبنا « المتعالم » أمر عمر نوح عليه السلام، وموضوع جمع يعقوب عليه السلام بين الأختين، ومواضيع أخرى عدَّدها فى رسالته « التحذير » وردت فى كتاب « النبوة والأنبياء » سواءً كانت حقاً أو باطلًا، لماذا يقحمها فى أمر التفسير ؟

أهو لبيان أخطائى، أم هو لمجرد التلبيس على الناس ؟ حتى يظن الذين يقرءون كتبى فى التفسير، أنها مملوءة بالأخطاء والبدع ؟

أهكذا يكون شأن أهل العلم، والمناظرة، والرأى السديد فى معالجة

الأمور ؟

الملاحظة الثانية : إننى فى رسالة التراويح نقلت نصاً فقهياً عن ابن قدامة فى كتابه « المغنى » وفى هذا النص وردت عبارة « عشرين ركعة » فهل يريد سيادته أن أكذب على صاحب المغنى ، وأحرِّف كلامه حتى يرضى سيادته عنا ، وإليكم النص كما ورد فى كتابه المغنى :

قال رحمه الله « مسألة » :

« وقيامُ شهر رمضانِ عشرون ركعة ، يعنى صلاة التراويح » وهي سنة مؤكدة ، وأول من سنَّها رسول الله ﷺ .

ثم قال : (فصلٌ) : والمختارُ عند أبى عبد الله ــ يعنى أحمد بن حنبل ــ رحمه الله فيها عشرون ركعة ، وبهذا قال الثورى ، وأبو حنيفةَ ، والشافعيُّ . . وقال مالكٌ : ستٌّ وثلاثون ، وزعم أنه الأمر القديم ، وتعلّق بفعل أهل المدينة .

ثم قال : ولنا أن عمر رضى الله عنه لمَّا جمع الناس على « أُبيٍّ بن كعب » وكان يصلى بهم عشرين ركعة . .

وعن على أنه أمر رجلًا يصلى بهم فى رمضان عشرين ركعة ، وهذا كالإجماع[1] . . » .

هذا نصُّ كلام العلامة (موفق الدين محمد بن قدامة المقدسى) فى كتابه المغنى ، كما يجد القارئ صورة الصفحة ٦٠٤ من الكتاب المذكور .

(١) كتاب المغنى لابن قدامة ص ٦٠٤ تحقيق الدكتور عبد الله التركى ، والدكتور عبد الفتاح الحلو .

أَوَّلَهُ . أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ[10] .

فصل : والمُخْتَارُ عند أبي عبدِ اللهِ ، رَحِمَهُ اللهُ ، فيها عِشْرُونَ رَكْعَةً . وبهذا قال الثَّوْرِيُّ ، وأبو حنيفةَ ، والشَّافِعِيُّ . وقال مالِكٌ : سِتَّةٌ وثَلَاثُونَ . وزَعَمَ أنَّه الأمْرُ القَدِيمُ ، وتَعَلَّقَ بِفِعْلِ أهْلِ المَدِينَةِ ، فإنَّ صالِحًا مَوْلَى التَّوْأَمَةِ ، قال : أدْرَكْتُ النَّاسَ يَقُومُونَ بإحْدَى وأرْبَعِينَ رَكْعَة ، يُوتِرُونَ منها بِخَمْسٍ . ولَنا ، أنَّ عُمَرَ ، رَضِيَ اللهُ عنه ، لمَّا جَمَعَ النَّاسَ على أُبَيِّ بن كَعْبٍ ، وكان يُصَلِّي بهم[11] عِشْرِينَ رَكْعَةً ، وقد رَوَى الحسنُ أن عُمَرَ جَمَعَ النَّاسَ على أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ، فكان يُصَلِّي لهم عِشْرِينَ لَيْلَةً ، ولا يَقْنُتُ بهم إلا في النِّصْفِ الباقِي[12] . فإذا كانت العَشْرُ الأَوَاخِرُ تَخَلَّفَ أُبَيٌّ ، فصَلَّى في بَيْتِه ، فكانُوا يَقُولُونَ : أَبَقَ أُبَيٌّ . رَوَاه أبو دَاوُدَ ، ورَوَاهُ السَّائِبُ بن يَزِيدَ ، ورُوِيَ عنه من طُرُقٍ . ورَوَى مالِكٌ ، عن يَزِيدَ بن رُومَان ، قال : كان النَّاسُ يَقُومُونَ في زَمَنِ عمرَ في رمضانَ بِثَلَاثٍ وعِشْرِينَ رَكْعَةً . وعن عليٍّ ، أنَّه أمَرَ رَجُلًا يُصَلِّي بهم في رمضانَ عِشْرِينَ رَكْعَةً . وهذا كالإجْماعِ ، فأمَّا ما رَوَاهُ صَالِحٌ ، فإنَّ صَالِحًا ضَعِيفٌ ، ثم لا نَدْرِي مَن النَّاسُ الَّذِينَ أخْبَرَ عنهم ؟ فَلَعَلَّه قد أدْرَكَ جَمَاعَةً من النَّاسِ يَفْعَلُونَ ذلك ، وليس ذلك بِحُجَّةٍ ، ثم لو ثَبَتَ أنَّ أهْلَ المَدِينَةِ كُلَّهم فَعَلُوه لَكانَ ما فَعَلَهُ عمرُ ، وأجْمَعَ عليه الصَّحابَةُ في عَصْرِهِ ، أوْلَى بالاتِّبَاعِ ، قال بعضُ أهْلِ العِلْمِ : إنَّما فعلَ هذا أهْلُ المَدِينَةِ لأنَّهم أرَادُوا مُسَاوَاةَ أهْلِ مَكَّة ، فإنَّ أهْلَ مَكَّةَ يَطُوفُونَ سَبْعًا بين كل تَرْوِيحَتَيْنِ ، فَجَعَلَ أهْلُ المَدِينَةِ مكانَ كلِّ سَبْعٍ أرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، وما كان عليه أصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أوْلَى وأحَقُّ أنْ يُتَّبَعَ .

---

(10) في : باب فضل من قام رمضان ، من كتاب صلاة التراويح . صحيح البخاري ٣ / ٥٨ .

(11) في ا ، م : « لهم » .

(12) في ا ، م : « الثاني » . وتقدم في صفحة ٥٨٠ .

صفحة مصورة من كتاب المغني لابن قدامة

ولكنَّ صديقنا الكاتب أراد أن يُلبِّس على الناس ، فادَّعى أنني حرَّفت الكلام ، وبدَّلتُ عشرين « ليلة » إلى عشرين « ركعة » .. وهذا والله من أعجب العجب ، فإن الشيخ ابن قدامة يؤكد أنها عشرين ركعة ، ويستدل لها بعدة روايات :

١ ــ رواية عن عمر أنه جمع الناس على أُبيٍّ فكان يصلى بهم عشرين ركعة .

٢ ــ ورواية عن يزيد بن رومان أن الناس كانوا يقومون فى زمن عمر بثلاث وعشرين ركعة ، ثلاث منها الوتر .

٣ ــ ورواية عن على أنه أمر رجلًا يصلى بهم فى رمضان عشرين ركعة .. ثم يقول : وهذا كالإجماع .

٤ ــ وقد أورد ابن قدامة عن الحسن رواية ــ أخطأ صاحبنا أبو زيد فى فهمها ــ وهى أن عمر جمع الناس على أبى فكان يصلى لهم عشرين ليلة .. فظن أن فيها تحريفاً .

وهذا على حدِّ قول الشاعر :

وكم من عائب قولًا صحيحاً ....

ومراد الحسن فى روايته أنَّ أُبيًّا رضى الله عنه كان يصلى لهم عشرين ليلة ، فى كل ليلةٍ عشرون ركعة فاختصر هذا لدلالة السياق عليه ، ولو أن كاتبنا أكمل الرواية لفهم المقصود ، فقد كان أبىٌّ فى العشر الأخير من

رمضان يتهجَّد لنفسه ، ولهذا قال الحسن فى روايته : « فإذا كان العشر الأواخر ، تخلَّف أُبيٌّ فصلَّى فى بيته ، فكانوا يقولون : أَبَق أُبيٌّ » أى انهزم عن إمامة الناس .

وإنه والله لعجيب أن يغيب عن فهم الكاتب مراد الحسن رضى الله عنه ، وهو صريح فى صلاته بالمسلمين عشرين ليلة بعشرين ركعة ، ولهذا أورد الأثر فى المغنى على أنها عشرين ركعة ، فهو يريد أن يقول : ما كان يكمل الشهر ، بل يصلى بهم عشرين ليلة ، ويصلّى فى بيته بقية الشهر ، بدليل قوله « فصلَّى فى بيته » وإلاَّ لما صحَّ لابن قدامة أن يقول فى استدلاله بالروايات التى ذكرها : وهذا كالإجماع على أنها عشرون ركعة !!

وإذا كان الكاتب بكر أبو زيد لم يفهم النَّص ، ولم يدرك معنى رواية الحسن ، فكيف يحق له أن يتَّهم غيره بالتحريف والتزوير ، والقصورُ إنما جاء من طرفه ، وأنا إنما نقلت النَّص الفقهى من كتاب المغني ، فهل يريد سيادة الكاتب أن أغيِّر كلام ابن قدامة حتى لا أكون محرِّفًا فى نظره ، وأن أشاركه الفهم الخاطئ المقلوب ؟

يا أخانا الفاضل : إذا قَصُر فهمك عن معنى أثرٍ أو نصٍّ من النصوص ، فلا تتهم الناس بالتحريف والتزوير ، وارجع إلى أهل العلم ، وسل عمَّا أشكل عليك ، ونسأل الله لك الهداية إلى الفهم السليم .

مسألة الخضر هل هو نبيٌّ أو ولي ؟

يزعم الكاتب أننى حرفت كلام ابن تيمية فى موضوع « الخضر » هل هو نبيٌّ أو وليٌّ، وأننى افتريت على ابن كثير، والسيوطى، ويكرر هذا فى رسائله التى هى مجموعة اتهامات وافتراءات، لا صدق فيها ولا أدب، فيقول فى كتابه التحذير ص ٥٨ ما نصه :

أمّا هذا الكاتب — يعنى الشيخ الصابونى — فقد قال : إن القول بأن الخضر وليٌّ هو قول الأكثرين، وعزا حكايته إلى ابن تيمية، وابن كثير، والسيوطى، وفى هذا من التخوُّنِ والتَّغالطِ فى النقل ما ستراه .. » إلخ .

هذا ما كتبه فى كتابه التحذير عن خادم الكتاب والسنة الشيخ الصابونى .. أما ما كتبه فى كتابه « تحريف النصوص » فهو أدهى وأمرُّ، وإلى السادة القراء أسوق كلامه كما جاء فى كتابه دون زيادة ولا نقصان، ليطلع الناس على أدبه فى أسلوب المحاورة والمناظرة، وإلى الدرر التى يتفوَّه بها حيث يقول فى صفحة ١٧٦ ما نصه :

« هذا المسكين لا ترقى حاله إلى درجة الاشتغال بنقده، وقد بيَّنتُ أمثلةً من اختلاف أمانته، وكثرة تحريفاته فى « التحذير من مختصرات الصابونى فى التفسير »[١] ص ١٤ — ٢٤ وفى مواضع أخرى من الطبعة الثانية .

---

(١) التحذير ص ٥٨ .

وقد كشفه العلماء بنحو ثلاثين ردًّا جميعها مطبوعة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . يُضاف إليها نحو عشر تحريفات في كتابه الدفاعي بالباطل « كشف الافتراءات » فهذا الأبله يواجهه العلماء بتحريفاته ، فيدفعها بمثلها متقولاً على الأئمة : البخارى ، وابن جرير ، وابن تيمية ، وابن كثير رحمهم الله تعالى محرفًا لكلامهم »[1] .

أقول لا عجب فهذا هو خلقه وأدبه فى ردوده ، هناك يقول : تخوُّن وتغالط فى النقل .. وهنا يقول « الأبله » فأنا الأبله ، وهو العبقرى اللامع ، ولا غرابة فى هذا ، فإن من يطعن فى أئمة علماء اللغة والتفسير ، وينسبهم إلى الكذب والغباء ، لا يُستبعد منه أن يتحدث بمثل هذه الدرر البهيَّة ، فهى قطرة فى بحر علومه السنية ، فى التعالم على الناس ، ورميهم بأقذع الألفاظ ، وأقبح الأوصاف ، مما لا يجاريه فيه إنسان ، ولا ننسى ما سطَّره فى كتابه « التعالم » عن خادم الكتاب والسنة الشيخ الصابونى من قوله « مفسر كذاب ، لا يدرى السنة ولا يحفظ الكتاب ، قليل الرشاد ، كثير الفساد .. مبتلى مراء متشبع بما لم يعط .. » إلى آخر تلك الألفاظ التى دبَّجها يراعه ، وأملى عليه بها أدبه !

وجوابنا على هذا الافتراء يتلخص فى الآتى :

أولاً : زعم أن هناك ثلاثين ردًّا كلها مطبوعة من العلماء الأثبات فى الردِّ علىَّ !

(١) تحريف النصوص ص ١٧٦ .

صورة عن كلامه في كتاب تحريف النصوص

محمد الصابوني
وبروزه في التحريف على أقرانه الغلاة

هذا المسكين، لا ترقى حاله إلى درجة الاشتغال بنقده، وقد بينت أمثلة من اختلاف أمانته، وكثرة تحريفاته في «التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» (ص/ ١٤ ـ ٢٤)، وفي مواضع أُخرى من الطبعة الثانية.

وقد كشفه العلماء بنحو ثلاثين رداً جميعها مطبوعة. وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل.

يُضَافُ إليها نحو عشرة تحريفات في كتابه الدفاعي بالباطل: «كشف الافتراآت». فهذا «الأَبْلَه» يواجه العلماء بتحريفاته، فيدفعها بمثلها، متقولاً على الأَئمة: البخاري، وابن جرير، وابن تيمية، وابن كثير ـ رحمهم اللَّه تعالى ـ مُحَرِّفاً لِكَلاَمِهِم:

وقد كشفها، الشيخ سليم الهلالي، في كتابه: «المنهل الرقراق . . .»: (ص/ ٧٦ـ ٩٨).

ومنها: أن ابن جرير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ذكر في «تفسيره»: (٢٩/ ١٤ سطر/ ٣٠): أثراً بسنده، عن عبيد، قال «سمعت الضحاك يقول: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾، وكان ابن عباس يقول: كان أهل الجاهلية . . .».

من هم العلماء الذين يقصدهم الكاتب ؟ أرجو أن يبين أسماءهم وكتبهم المؤلفة فى الردّ علىَّ ، حتى يعرف القارئ صدق هذه الدعوى .. وهل إذا اتهمنى شخص باتهام باطل ، فيه جهل فاضح فى مسألةٍ ما ، يصبح هذا فى نظره ردًّا علمياً ؟

ثانياً : أين هو التحريف لكلام ابن تيمية ، وكلام الحافظ ابن كثير ، والإمام السيوطى كما يزعم الكاتب فى رسالته تحريف النصوص ؟

لقد قلت فى رسالتى « كشف الافتراءات » ما نصُّه : إن مسألة الخضر مسألة خلافية بين أهل العلم ، فبعضهم يرى أنه نبى ، والأكثرون يرون أنه ولىٌّ من أولياء الله ، والأمور الخلافية لا يُقطع فيها بأن هذا القول هو الصواب ، والآخر هو الخطأ .. ولا يُعدُّ قول المخالف ضلالًا وابتداعاً فى الدين ، بل غايةُ ما فى الأمر أن يُقال : هذا القول راجح ، وذلك القول مرجوح .

وقد التزمت فى كتابى « صفوة التفاسير » بمذهب الجمهور ، لأن يد الله مع الجماعة ، ولا تجتمع أمة محمد ﷺ على ضلالة ، كما جاء فى الحديث الشريف ، فالغالب أن يكون ما ذهب إليه الأكثرون هو الأصح والأرجح ، مع عدم الجزم والقطع بأن هذا وحده الصواب .

ثم قلت : ذهب ابن تيمية فى فتاواه إلى أن القول بأن الخضر وليٌّ هو الأظهر ، فقال : والأكثرون على أنه وليٌّ ، فقد جاء فى الفتاوى ٤/٣٣٨ ما نصّه : « وأكثر العلماء على أنه لم يكن نبياً ، ومع أن نبوة مَنْ قبلنا يَقْرُب

كثير منها من الكرامة والكمال فى الأمة .. وأما حياته فهو حيٌّ والحديثُ المذكور « لو كان حيًّا لزارنى » لا أصل له ، ولا يُعرف له إسناد ، بل المرويُّ فى مسند الشافعى وغيره أنه اجتمع بالنبى ﷺ ، ومن قال : إنه لم يجتمع بالنبى فقد قال ما لا علم له به ، فإنه من العلم الذى لا يحاط به .

ومن احتج على وفاته بقول النبى ﷺ : « أرأيتكم ليلتكم هذه ، فإنه على رأس مائة سنة ، لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد » فلا حجة فيه ، فإنه يمكن أن لا يكون الخضر إذْ ذاك على وجه الأرض[1] .. » انتهى .

هذا ما نقلته فى كتابى « الكشف » ص ٤١ — ٤٢ فأين هو التحريف لكلام ابن تيمية ؟ هل لأنى قلت : والأكثرون على أنه ولىٌّ كما ذهب إليه ابن تيمية ثم نقلت النص عنه من الفتاوى بقوله : وأكثر العلماء على أنه لم يكن نبياً ؟ هل يُعدُّ هذا تحريفاً ؟ وما الفرق بين قول : والأكثرون ، وأكثر العلماء ؟ وإلى السادة القراء صورة الصفحتين من الفتاوى ، ليتضح لهم من هو المحرِّف للنصوص ، ومن هو المتعالم على عباد الله بالغطرسة والكبرياء ، وسوء الفهم ؟

وكذلك قال الحافظ ابن كثير ١٠١/٣ يخبر تعالى عن قيل — أى قول — موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو « الخضر » الذى خصَّه الله بعلمٍ لم يطلع عليه موسى ، كما أنه أعطى موسى من العلم ما لم يعطه

(١) انظر كشف الافتراءات ص ٤١ — ٤٢ .

سئل الشيخ رحمه الله (1) :-

هل كان الخضر عليه السلام نبياً أو ولياً ؟ وهل هو حي إلى الآن ؟ وإن كان حياً فما تقولون فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو كان حياً لزارني » هل هذا الحديث صحيح أم لا ؟

فأجاب :-

أما نبوته : فمن بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوح اليه ولا إلى غيره من الناس ، وأما قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقد اختلف في نبوته ، ومن قال إنه نبي : لم يقل إنه سلب النبوة ، بل يقول هو كالياس نبيء ، لكنه لم يوح اليه في هذه الأوقات ، وترك الوحي اليه في مدة معينة ليس نفيا لحقيقة النبوة ، كما لو فتر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء مدة رسالته .

وأكثر العلماء على أنه لم يكن نبياً ، مع أن نبوة من قبلنا يقرب كثير منها من الكرامة والكمال في الامة . وإن كان كل واحد من النبيين أفضل من كل

---

(1) هكذا وجدت هذه الرسالة .

واحد من الصديقين كما رتبه القرآن وكما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر الصديق» وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن كان الرجل ليسمع الصوت فيكون نبياً».

- وفي هذه الأمة من يسمعه ويرى الضوء وليس بنبي؛ لأن مايراه ويسمعه يجب أن يعرضه على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه تيقن أن الذى جاء من عند الله يقين لا يخالطه ريب ولا يحوجه أن يشهد عليه بموافقة غيره.

وأما حياته: فهو حي. والحديث المذكور لا أصل له، ولا يعرف له اسناد، بل المروى فى مسند الشافعي وغيره: انه اجتمع بالنبى صلى علينه وسلم، ومن قال إنه لم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد قال ما لا علم له به، فإنه من العلم الذى لا يحاط به.

ومن احتج على وفاته بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد» فلا حجة فيه، فإنه يمكن أن يكون الخضر إذ ذاك على وجه الأرض.

ولأن الدجال - وكذلك الجساسة - الصحيح أنه كان حياً موجوداً

الخضر .. ثم قال : وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً بل كان ولياً فالله أعلم »[1] .

والإمام المحلى رحمه الله يقول فى تفسير الجلالين ﴿ فَوَجَدَا عَبْدَاً مِنْ عِبَادِنَا ﴾ هو الخضر ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ قال : نبوَّةً فى قول : وولايةً فى آخر ، وعليه أكثر العلماء ﴾[2] أ هـ .

فما هو التحريف والتزوير فى كلامى إذا قلت : والأكثرون ؟ أليس هذا من التعالم على عباد الله ، ومن التطاول بالظلم والبتهان على أئمة علماء التفسير ؟

افتراء مكشوف من الكاتب أبو زيد

ثم إن كاتبنا لم يكتف بتلفيق الكذب عليَّ ، بأننى حرَّفت فى كلام ابن تيمية ، والسيوطى ، وابن كثير — مع أننى نقلت النصَّ عنهم بكل دقةٍ وأمانة — بل يزيد فى التعالم والتطاول حتى على ابن تيمية ، فيجعله متناقضاً متعارضاً فى فتاواه ، كأنه لا يدرى ما يكتب وما يقول : وإليكم نص كلماته : « ابن كثير لم يعزه للجمهور « الأكثرين » والمحلِّى ناقلٌ فعنْ مَنْ .. وابن تيمية فتواه هذه تنقضها فتاواه الأخرى ، وأصوله السنية التى درج عليها ، فهذه الفتوى إن كانت له فهى مهجورة ، لم يحصل عزوها إليه قبل ، ولا حكاية مضمونها عنه من معتبر[3] .. » أ هـ .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/١٠١ .
(٢) تفسير الجلالين ٣/٣٥ بحاشية الجمل .
(٣) التحذير لبكر أبو زيد ص ٥٩ .

(وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً بل كان ولياً) اهـ.

ولم يقل: وذهب الأكثرون فتنبه؟

والكاتب لا يفرق بين الصفتين فقال ص/٤٣:

(كما صرح الحافظ ابن كثير بأن هذا قول الأكثرين ـ ثم ذكره) اهـ.

وهذا تغالط عليه فسقط التحجج به.

وأما المحلي ـ رحمه الله تعالى ـ فقال في (تفسير الجلالين: نبوة في قول، وولاية في آخر، وعليه أكثر العلماء) اهـ.

والمحلي ـ رحمه الله تعالى ـ في كلامه إجمال مانع من فهم المراد بالعلماء هل هم علماء الصوفية فنعم، أو العلماء المحققون فلا؟

فالحال كما ترى:

ابن كثير لم يعزه للجمهور (الأكثرين)، والمحلي ناقل فعن مَنْ، وابن تيمية فتواه هذه تنقضها فتاواه الأخرى، وأصوله السنية التي درج عليها، فهذه الفتوى ـ إن كانت له ـ فهي مهجورة لم يحصل عزوها إليه قبل ولا حكاية مضمونها عنه من معتبر. فكل هذه سياقات من متشابه القول، وضعف التحقيق، لدى هذا الكاتب فنعوذ بالله من الهوى.

تنبيه مهم:

في «تفسير ابن كثير ٣/٩٩» قال ما نصه: (وذكروا في ذلك ـ أي في حياة الخضر ـ حكايات وآثاراً عن السلف وغيرهم، جاء

هكذا بكل جرأة وصفاقة يجعل الفتوى متناقضة مهجورة حتى ولو كان القائل بها ابن تيمية .

ما هكذا يا سعدُ تورد الإبل ، ولا هكذا تكون مناقشة الأحكام مع الأعلام !؟ وأمَّا الإمام المحلِّى لمَّا قال فى تفسير الجلالين : « نبوة فى قولٍ ، وولايةٌ فى آخر ، وعليه أكثرُ العلماء » .

فقد سلك معه طريقاً آخر ، فيه رعونةٌ وفساد مزاج حيث قال :

وأمَّا المحلّى ففى كلامه إجمالٌ مانعٌ من فهم المراد بالعلماء ؟ هل هم علماء الصوفية ؟ فنعم أو العلماء المحققون ؟ فلا !! أ هـ .

وهكذا يقذف بالكلام دون خجل أو حياء .!

ما دخل علماء الصوفية هنا ، والإمام المحلّى يحكى أقوال أئمة علماء التفسير سلفاً وخلفاً !! وما مراد الكاتب بالعلماء المحققين ؟ هل يقصد نفسه ، ومحمد جميل زينو معه ، وبعض أدعياء العلم ؟

نحن نسأله من هم المحققون ؟ بيِّن لنا ووضِّح ، فإذا كان قول ابن تيمية غير مرضى ، ولا قول ابن كثير ، ولا قول ابن جرير الطبرى ، ولا قول أكثر المفسرين ، فمن من العلماء ترضى عنه ويعجبك قولُه ؟

ونحن بدورنا نقول له : قولُ ابن تيمية رحمه الله ــ الذى اعتبره الكاتب متناقضاً مهجوراً ــ (وأكثر العلماء على أنه لم يكن نبياً)[1] بيِّنْ لنا ما المراد بأكثر العلماء ؟ هل يقصد ابن تيمية الصوفية أم « البلطجية » ؟ . إننى والله

(١) الفتاوى ٤/٣٣٨ .

لأستغرب أن تخرج مثل هذه الأفكار السقيمة ، من شخص يدعى أنه عالم ، وأنه فقيه ، وأنه يحمل شهادة « الدكتوراه » فما هكذا تكون آراء أهل العلم والفهم !؟

وأخيراً نكتفى الآن بما كتبنا ووضحنا حول مغالطات الكاتب « بكر أبو زيد » ونسأل الله لنا وله الهداية ، وأن يبصّرنا بطريق الحق والاستقامة ، وأن يصون ألسنتنا عن الاستطالة فى أعراض المؤمنين ، التى قال عنها المصطفى ﷺ فى هديه الشريف « وإن أربى الربا عند الله ، استطالةُ الرجل فى عِرْض أخيه المؤمن » .

ونذكّر الدكتور « أبو زيد » بما كتبه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حول موضوع التطاول على أهل العلم ، والتجريح لكرامة العلماء ، لعلها تكون له ولنا ذكرى !!

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
يحذّر المتطاولين على العلماء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد النبى الأمين وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته إلى يوم الدين أما بعد .

فإن الله عز وجل يأمر بالعدل والإحسان . وينهى عن الظلم والبغى والعدوان ، وقد بعث الله نبيه محمدا ﷺ بما بعث به الرسل جميعاً من الدعوة إلى التوحيد ، وإخلاص العبادة لله وأمر بإقامة القسط ونهى عن ضد ذلك من عبادة غير الله ، والتفرق والتشتت ، والاعتداء على حقوق العباد .

وقد شاع فى هذا العصر أن كثيراً من المنتسبين إلى العلم ، والدعوة إلى الخير يقعون فى أعراض كثير من إخوانهم الدعاة المشهورين ويتكلمون فى أعراض طلبة العلم والدعاة والمحاضرين ، يفعلون ذلك سراً فى مجالسهم ، وربما سجلوه فى أشرطة تنشر على الناس ، وقد يفعلونه علانية فى محاضرات عامة فى المساجد ، وهذا المسلك مخالفٌ لما أمر الله به ورسوله من جهات عديدة منها :

أولًا : إنه تعدٍّ على حقوق الناس من المسلمين بل من خاصة الناس من طلبة العلم والدعاة ، الذين بذلوا وسعهم فى توعية الناس

وإرشادهم وتصحيح عقائدهم ومناهجهم ، واجتهدوا فى تنظيم الدروس والمحاضرات ، وتأليف الكتب النافعة ؟

ثانياً : إنه تفريق لوحدة المسلمين وتمزيق لصفهم ، وهم أحوج ما يكونون إلى الوحدة والبعد عن الشتات والفرقة وكثرة القيل والقال ، فيما بينهم خاصة ، وأن الدعاة الذين نيل منهم هم من أهل السنة والجماعة ، المعروفين بمحاربة البدع والخرافات والوقوف فى وجه الداعين إليها وكشف خططهم وألاعيبهم ، ولا نرى مصلحة فى مثل هذا العمل إلا للأعداء المتربصين إليها من أهل الكفر والنفاق ، أو من أهل البدع والضلال .

ثالثاً : إن هذا العمل فيه مظاهرة ومعاونة للمغرضين من العلمانيين والمستغربين وغيرهم من الملاحدة ، الذين اشتهر عنهم الوقيعة فى الدعاة ، والكذب عليهم ، والتحريض ضدهم فيما كتبوه وسجلوه وليس من حق الأخوة الإسلامية أن يعين هؤلاء المتعجلون أعداءهم ، على إخوانهم من طلبة العلم والدعاة وغيرهم .

رابعاً : إن فى ذلك إفساداً لقلوب العامة والخاصة ونشراً وترويجاً للأكاذيب والشائعات الباطلة ، وسببا فى كثرة الغيبة والنميمة ، وفتح أبواب الشر على مصاريعها لضعاف النفوس ، الذين يدأبون

على بث الشبه وإثارة الفتن ، ويحرصون على إيذاء المؤمنين بغير ما اكتسبوا .

خامساً : إن كثيرا من الكلام الذى قيل له وإنما هو من التوهمات التى زينها الشيطان لأصحابها وأغراهم بها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ الآية ، والمؤمن ينبغى أن يحمل كلام أخيه المسلم على أحسن المحامل وقد قال بعض السلف لا تظن بكلمة خرجت من أخيك شراً وأنت تجد لها فى الخير محملًا .

سادسا : وما وجد من اجتهاد لبعض العلماء وطلبة العلم فيما يسوغ فيه الاجتهاد ، فإن صاحبه لا يؤاخذ به ولا يثْرب عليه إذا كان أهلًا للإجتهاد ، فإذا خالفه غيره فى ذلك كان الأجدر أن يجادله بالتى هى أحسن ، حرصا على الوصول إلى الحق من أقرب طريق ، ودفعا لوساوس الشيطان وتحريشه بين المؤمنين ، فإن لم يتيسر ذلك ورأى أحد أنه لا بد من بيان المخالفة ،فَلْيكنْ ذلك فى أحسن عبارة ، وألطف إشارة ، ودون تهجم أو تجريح أو شطط فى القول قد يدعو إلى رد الحق أو الإعراض عنه ، ودون تعرض للأشخاص ، أو اتهام للنيات أو زيادة فى الكلام لا مسوغ لها .

وقد كان الرسول ﷺ يقول في مثل هذه الأمور: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا !! فالذى أنصح به هؤلاء الإخوة، الذين وقعوا فى أعراض الدعاة وثالوا منهم أن يتوبوا إلى الله تعالى مما كتبته أيديهم، أو تلفظت به ألسنتهم، مما كان سببا فى إفساد قلوب بعض الشباب، وشحنهم بالأحقاد والضغائن، وشغلهم عن طلب العلم النافع وعن الدعوة إلى الله بالقيل والقال، والكلام عن فلان وفلان، والبحث عما يعتبرونه أخطاء للآخرين وتصيدها وتكلف ذلك.

كما أنصحهم أن يكفّروا عما فعلوا بكتابة أو غيرها مما يبرئون فيه أنفسهم من مثل هذا الفعل، ويزيلون ما علق بأذهان من يستمع إليه من قولهم، وأن يقبلوا على الأعمال المثمرة التى تقرب إلى الله وتكون نافعة للعباد، وأن يحذروا من التعجل فى إطلاق التكفير أو التفسيق أو التبديع لغيرهم بغير بينة ولا برهان وقد قال النبى ﷺ «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما». متفق على صحته.

ومن المشروع لدعاة الحق وطلبة العلم إذا أشكل عليهم أمر من كلام أهل العلم أو غيرهم، أن يرجعوا فيه إلى العلماء المعتبرين، ويسألونهم عنه ليبينوا لهم جلية الأمر ويوقفوهم على حقيقته

ويزيلوا ما فى أنفسهم من التردد والشبهة عملا بقول الله عز وجل فى سورة النساء ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾ .

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً ويجمع قلوبهم وأعمالهم على التقوى وأن يوفق جميع علماء المسلمين وجميع دعاة الحق لكل ما يرضيه وينفع عباده ويجمع كلمتهم على الهدى ويعيذهم من أسباب الفرقة والاختلاف وينصر بهم الحق ويخذل بهم الباطل إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين(١)

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث
العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد

---

(١) نص المقال الذى نشر فى جريدة المدينة وعكاظ .

الفهـــرس

رقم الإيداع

١٩٩٣/١٠٤٢٣